الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية–

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

مركزية الأنثى الفاعلة في رواية تلك المحبة للحبيب السائح

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

من اعداد الطالبتين:

- قنانة عبلة
- قارتي كاهنة

تحت اشراف الاستاذة:

أ. د. فريدة مولى

السنة الدراسية 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى
أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى
تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ

الأحقاف: 15

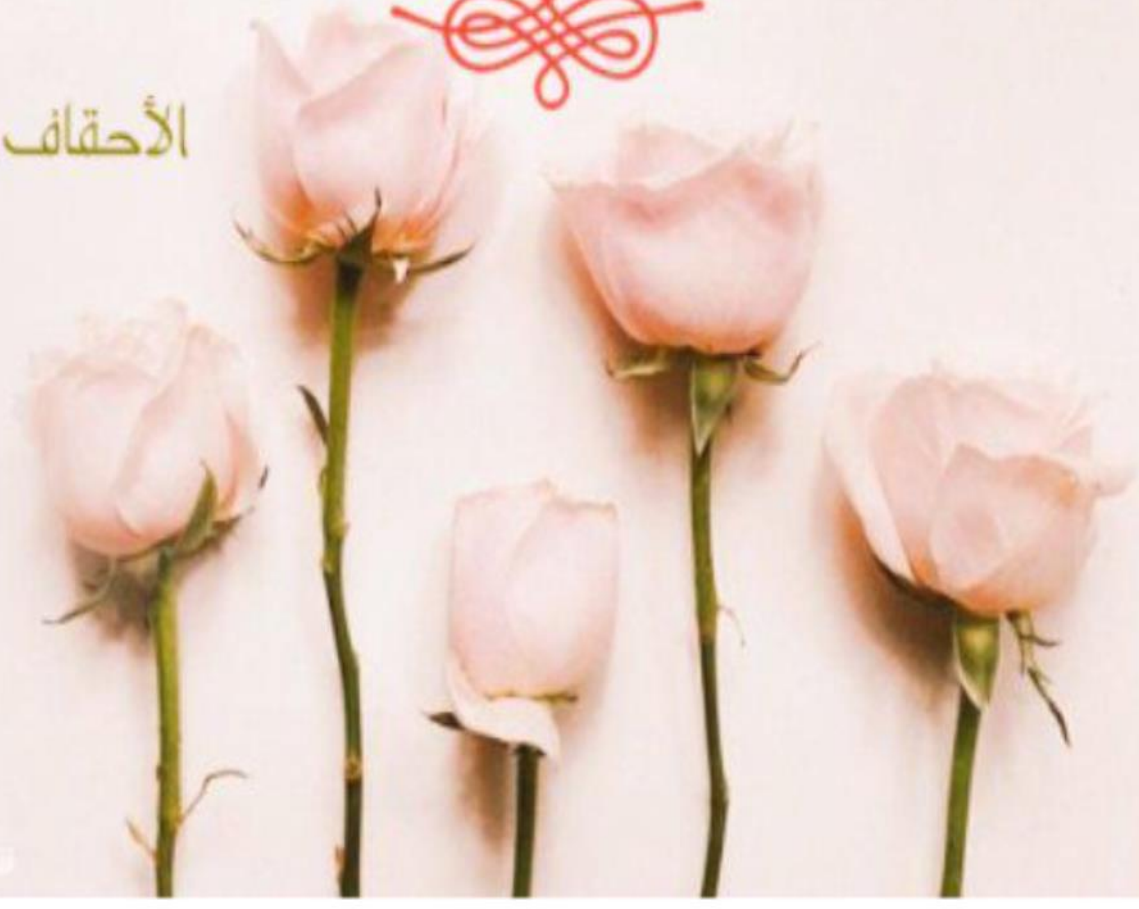

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أشكر أولا وأخيرا العلي القدير الذي منحني القدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع.

بشعور مفعم بالمحبة والاحترام والتقدير وبكل إخلاص أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذتي المحترمة الأستاذة "**مولي فريدة**" المشرفة على هذه المذكرة وأشكرها على ما تفضلت به علينا من التعليم والإشراف والتوجيه أثناء إنجاز هذه الدراسة.

أثني ثناء حسنا على كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي والطاقم الإداري.

الإهداء

أهدي هذا البحث:

- إلى كل طالب علم يسعى لكسب المعرفة وتزويد رصيده المعرفي العلمي والثقافي.
- إلى الصدر الحنون والقلب العطوف إلى أغلى إنسانة على قلبي **أمي الحبيبة**.
- إلى مثلي الأعلى وقدوتي في الحياة من أنار لي درب العلم مثلي الأعلى **أبي العزيز**.
- إلى إخوتي: " **كاهنة-شهرة-أية**، وأخي الصغير **إسحاق** حفظهم الله.
- إلى **زوجي الطيب الغالي** سندي في الحياة وقف معي في السراء والضراء بارك الله فيه وحصنه بنعمه وفتح عليه أبواب الخير.
- إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث.
- إلى كل عائلتي وعائلة زوجي.

عبلة

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع:

- إلى التي سقتني لبن المحبة، وإلى الشمعة التي تنير حياتي، بر الأمان ومنبع الحنان **أبي الحبيبة**.
- إلى مرشدي في الحياة وسندي والوجه المنير **أبي الغالي**.
- إلى صديق دربي، الرجل الوفي الذي وفر الفضاء المناسب لمساعدتي على إنهاء هذا البحث **زوجي العزيز**.
- إلى كل **عائلتي وعائلة زوجي**، فلهم مني كل المحبة والتحية.
- إلى روح الغائب عمي الحبيب **نور الدين**.

كاهنة

يقول إبراهيـــــم الكونـــــــي

« إن المرأة مثل هذه الصحراء التي تمتد أمامك الي الأبد تبدو قاحلة، قاسية، باعثة على اليأس، ولكن أعماقها تخفي سحرا وأسرارا وكنوزا وحياة »

مقدمة

مقدمة:

يعد الفن الروائي أقرب الأجناس الأدبية لحركة المجتمع والواقع الإنساني، كونه يعبر عن روح الأمة وطموحها، إذ يرصد مختلف أشكال الصراعات والتفاعلات والتجاوزات، ويصور الواقع المرير ومتغيراته بكل تفاصيله، مقتحما أزمات الفرد وعلاقاته و تجاذباته مع السلطة والدين والتاريخ والأعراف والهوية ، وقد استقطبت الأعمال الروائية التي تركز على تيمة المرأة اهتمام المتلقين والدارسين على مختلف مستوياتهم الفكرية، والثقافية والإيديولوجية، كونها من الموضوعات الشائكة المشحونة بحمولات دلالية، والتي تشكل محورا غنيا يملي على الكتاب مادتهم ويثري متخيّلهم، وتعد رواية "تلك المحبة" للحبيب السايح من الروايات التي طرحت بإلحاح مشاكل المرأة ومعاناتها، عفّتها ونجاستها، أوجاعها وأفراحها، علاقتها وتجاذباتها مع الرجل ومع المجتمع.

ولعل شهرة الرواية إلى جانب قضايا الأنثى وأسرارها التي حفر فيها الكاتب باحترافية، هو الذي جعلنا نتخذها متنا للدراسة والبحث للكشف عن تمثلات المرأة المتعددة في الرواية والتي جسدت مكانتها وقيمتها التي تراوحت بين المركزية والهامشية، إلى جانب جملة من الأسباب الأخرى التي دفعت بنا لاختيار هذا الموضوع، أهمها شغفنا بالبحث في الرواية وخاصة الرواية الجزائرية، كما أن فكرة دراسة تيمة المرأة أمر مشوق ومثير للانتباه، حيث كانت فكرة راودنا منذ التحاقنا بالجامعة، وما زادنا رغبة تشجيع الأساتذة للطلبة على دراسة المتون السردية الجزائرية.

ونظرًا لاختلاف نظرة الكتاب إلى المرأة، ارتأينا أن نكشف عن نظرة الروائي "الحبيب السايح" في روايته "تلك المحبة، لذلك طرحنا مجموعة من الأسئلة: كيف تجلت الأنثى في الرواية وما هي تمثلاتها؟ وما موقعها ومكانتها في المجتمع العربي والإسلامي وفي المجتمع الصحراوي بالتحديد؟ وما هو دورها فيه؟ وأسئلة فرعية أخرى حاولنا الإجابة عنها من خلال تقسيم البحث إلى: فصلين، كل فصل بثلاثة مباحث، وخاتمة.

تناولنا في الفصل الأوّل المعنون: المرأة بين المركز والهامش، مكانة المرأة من المنظور الديني في المبحث الأول، وذلك بعرض نظرة الديانة اليهودية والمسيحية والديانة الإسلامية، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى مكانة المرأة عند الفلاسفة الكبار، أرسطو وأفلاطون وسقراط، وتعرضنا في المبحث الثالث إلى المرأة من المنظور الأدبي، وذلك في الشعر العربي القديم وفي الأدب الصوفي وكذلك في الرواية والمسرح العربيين.

أما الفصل الثاني فقد عنوناه: تمثلات الأنثى في رواية تلك المحبة، قسمناه أيضا إلى ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى الأنثى المركز، التي جسدتها شخصية البتول المقدسة، وتناولنا في المبحث الثاني الأنثى المدنسة، التي جسدتها شخصية نجمة المدنسة جسدا وروحا، وخصصنا المبحث الأخير للأنثى المهمشة، بالتطرق إلى هامشية المرأة المفعول بها وهامشية الذكر المفعول به–المخنث أو الشاذ جنسيا–وأخيرا أدرجنا الخاتمة التي كانت بمثابة الخلاصة التي حصرت أهم النتائج المتوصل إليها.

فيما يخص المقاربة المنهجية، فقد استعنا ببعض مفاهيم وإجراءات النقد الثقافي الذي يهتم بالبحث عن الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص، وركزنا على ثنائية المركز والهامش قصد إجلاء صورة المرأة وتمثلاتها في المتن المدروس.

أما المادة العلمية فقد استقيناها من مجموعة من المصادر والمراجع المهمة التي تناولت تيمة المرأة سواء في الأدب أو في الفلسفة أو في الرواية، إلى جانب دراسات قيمة تناولت المتون الروائية كدراسة محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين والالتزام، ودراسة الأخضر بن السائح: الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، ودراسة صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، وغيرها من الأبحاث والمقالات القيمة التي استفدنا منها كثيرا.

ومن أبرز الصعوبات التي اعترضت سبيلنا في البحث صعوبة النص الروائي وكيفية التطبيق عليه، وجائحة كورونا التي أدت إلى عدم القدرة على التواصل مع المشرف، إضافة إلى استحالة الوصول إلى المكتبات لجمع المادة العلمية، ورغم ذلك تم البحث بفضل الله وعونه وبفضل توجيهات الأستاذة المشرفة، فلها منا جزيل الشكر والعرفان.

الفصل الأول:

الأنثى بين المركزية والهامشية

المبحث الأول: المرأة من المنظور الديني

1. المرأة في الديانة اليهودية
2. المرأة في الديانة المسيحية
3. المرأة في الديانة الإسلامية

المبحث الثاني: المرأة من المنظور الفلسفي

1. المرأة عند أفلاطون
2. المرأة عند أرسطو
3. المرأة عند سقراط

المبحث الثالث: المرأة من المنظور الأدبي:

1. المرأة في الشعر العربي القديم
2. المرأة في الرواية والمسرح
3. المرأة في الأدب الصوفي

تمهيد:

شكلت ثنائية المركز والهامش قضية محورية في الدائرة الثقافية، وقد كان للنقد الثقافي واسع الفضل في الالتفات إلى المركز والهامش المغيب والمختلف لفهم طبيعة العلاقة التي تحكم الطرفين، لأن طبيعة هذه الثنائية مزدوجة الرؤيا تحكمها علاقة إستلزامية فلا يمكن فهم الهامش دون استحضار المركز الذي احتل المكانة، وقد تمتعت المركزية بالأولوية بخلاف الهامشية التي تعد وضعية مختلفة والتي يسلط عليها كل أنواع التمييز والفرز، فلا قيمة تماثل الهامش بالمركز، وقد تمركزت المرأة في الديانة الإسلامية وعند شعراء صدر الإسلام والشعراء العذريين الذين قدّسوها وعظّموا من شأنها، كما تعد عند المتصوفة رمزا للحياة والجمال واستمرارية الوجود الإنساني، ومن ناحية أخرى فقد لقيت التهميش والتقزيم من طرف الفلاسفة إلى جانب المعتقدات الدينية السابقة باعتباراتها مصدرا للخطيئة ولكل ما هو مدنس.

المبحث الأول: المرأة من المنظور الديني:

1-المرأة في الديانة اليهودية:

تعتبر الديانة اليهودية المرأة «**جنسا ليس لها الحق في الميراث وذلك طبعا يعود كونها الملامة الوحيدة والمدانة على الخطيئة التي وقعت في الجنة**»[1]ولهذا السبب نجدهم استبعدوا المرأة تماما عن الإرث ومنعوها من أخذ حقها مهما حصل لأنها في اعتقادهم دائمة الخطأ و تستمر في الوقوع بالأخطاء والأغلاط لذلك لاحق لها في امتلاك أي شيء كان سواء كان مالا أو قطعة أرض أو ما شابه، كأن فيها نقص ليس بوسعها تسير أمورها بمعنى لا ثقة فيها في الحفاظ على ممتلكاتها، فبمجرد أن تكون بحوزتها فمصيرها الضياع والخسارة لا محاله، ففي قصة "زيلفهاد" نجد "أن بنات زيلفهاد قصدنا سيدنا موسى عليه السلام وطلبن منه أن يعطيهن حصة والدهن الذي قد مات خلال سنوات ماضية فنبي الله موسى لم يكن يملك نصا دينيا إليه ليمنح لهن الحق فاضطر للعودة إلى الهيكل لكي يشاور الله عز وجل في هذه المسألة وان يسمع كلماته في خصوص قصة هذه البنات فتكلم الرب إلى موسى عليه السلام قائلا: «**أن البنات زيلفهاد قد نطقن بالصواب في من حينها قرر الإصحاح السابع عشر انه إذا مات الرجل غير**

[1]– الصادق النهيوم، الحديث عن المرأة والديانات، دار التالة للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 21.

مخلف ينتقل إرثه إلى بناته مباشرة»[1] حيث أصبح للبنات الحق في الإرث والأخذ من الرزق والدهن.

تعد التوراة أول نص ديني في تاريخ البشرية ينتسب إلى السماء، وقد كانت أول عقيدة تزعم المرأة أيضا على الزواج والقبول بأي رجل معين، أي مسألة الإرغام على الزواج وغياب الحرية والاختيار فلا يجوز للمرأة إطلاقا أن تختار شريك حياتها تحت أي ظرف، وهذا يوضحه هذا النص" **قال الرب علم بني إسرائيل وقل لهم الحق ما قال أبناء جيلك وهذا ما يميله الرب فيما يخص ولي فهذا ليخترن من شان من عشرة عائلة والدهن من لا ينقل ميراث أبناء إسرائيل من عشيرة إلى عشيرة**"[2] و كل واحد من أبناء إسرائيل يرتبها بميراث عشيرة أبيه و قول القراة " **ليخترن ما شئن**" [3] عبارة عن ترضية مؤقتة نوعا ما لأن مجال الاختيار هنا يتبع داخل دائرة أبناء العم بمعنى منهم واليهم يتزوجون فيما بينهم لا يجلبن غريبات ولا يأخذن بناتهم عازبات حتى في ما يخص بعض المصالح المادية، فالإرث يلعب دورا ويأخذ مأخذه في مسألة الزواج لذا في زواجهم يدورون في حلقة النسب فقط وهذه الدائرة تزيد ضيقا مع الزمن إلى غاية أن تنحصر في رجل واحد في اغلب الأحيان، فالبنت ملزمة على الزواج وذلك وفقا للنص الديني أو تحرم من الميراث نهائيا، فالزواج مرتبط بممتلكاتها التي تصبح ملكا لزوجها ويضعها تحت

[1]- المرجع نفسه، ص26.

[2]- المرجع نفسه، ص 30.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تصرفه ويكون مسؤولا عنها وهذا طبعا يعود إلى اعتقادهم أن المرأة ليست واعية وليس بمقدورها التحكم في حياتها وتسيير أمورها بمفردها، إما فيما يخص مسألة الطلاق أو فسخ العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة فنجد "**التوراة قد أحلت الطلاق للرجل كما يشاء و يرغب و في أي وقت و لحظة يريد**"[1] ذلك بإمكانه أن يقطع تلك الصلة التي تربطه بزوجته بكل بساطة وسهولة وبالتالي فهو ابسط إجراء لانفصال الرجل عن المرأة في تاريخ الديانات حيث نجد الصحاح الرابع والعشرون يقول "**ومن سفر الإشتراع: إذا اختار الرجل امرأة وجعلها زوجته ثم حدث أن كرهها لأنه وجد فيها بعض النجاسة فليكتب لها ورقة الطلاق و يطردها من بيته**"[2].

وهذا كله يضع المرأة تحت رحمة الرجل دائما وبشكل عجيب ورهيب إذ نجده يفرض نفسه في كل صغيرة وكبيرة من حياتها ويرغمها على طاعته وتنفيذ كل أوامره تحت أي ظرف كان أو يشرع في تعذيبها وقهرها، وذلك من خلال تجويعها حتى الموت، فهو يمارس عليها سياسة الاحتقار و الديكتاتورية و التعسف، فهي تعيش الجحيم الذي يرضاه زوجها لها كما وردت مقولة أخرى في التوراة: وقال لها الرب "**سأضاعف ألامك وأحزانك مضاعفة كبيرة وستلدين الأطفال بالآلام وحدها وستكون حياتك خاضعة لمشيئة زوجك**

[1]- المرجع نفسه، ص 29.

[2]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وسوف يظل زوجك حاكما عليك"[1] فهذه المقولة بمثابة عقوبة الرب للمرأة وذلك بداية من مأساتها وعذابها وآلامها في مواجهة لحظات ولادتها إلى سيطرة زوجها وتسلطه عليها من خلال تسيره لحياة زوجته كما يحلو له وعلى حسابه و رغبته، و كل هذا يعود إلى كونها السبب وراء أكل التفاحة في الجنة، أي أنها هي من أغرت آدم واستدرجته إلى ارتكاب هذه المعصية ومخالفة كلام الرب واكلها ،لذلك فالولادة تعد أول إشارة وعلامة عقاب للمرأة .

فمن الواضح بشكل كبير أن التوراة قد أدانت المرأة ورسّخت تلك النظرة الدونية بصورة نهائية، بحيث قررت عقابها على ذنبها لارتكابها أكبر خطيئة في الجنة، فقد تم تحديد عقاب المرأة ومجازاتها حينما بدأت التوراة في إرساء فرائض الزواج والاغتسال عند اليهود حيث أشارت إلى أن المرأة أكثر دنسا من الرجل وتم تحديد طهارتها على النحو التالي:" **وقال الرب وإذا اعترى المرأة غسول وكان ذلك الغسول في المرأة دما تعزل وحدها سبعه أيام وكل من يمسها يظل دنسا**"[2].

أن تعزل المرأة بنفسها طيلة فترة الغسول وان لا يقترب منها إطلاقا كونها متسخة فمحروم عليها أن تجتمع بأحد أو تخالط أحدا فتظل وحيدة معزولة عن العالم إلى حيث شفائها وطهارتها.

[1]– المرجع نفسه، ص 32.

[2]– ينظر: المرجع نفسه ص 8.

فتظل المرأة دائما مسؤولة عن الخطيئة الأولى وعقابها يحدث في نقطتين أساسيتين تتمثلان في ما يلي:

أولا: أن تظل المرأة محكومة من قبل الرجل وتحدد التوراة الرجل بالزوج أو الأب أو ولي الأمر فتبقى المرأة مرهونة وراضية بحكم الرجل مهما كان شكل هذا الحكم فهو الذي يمثلها والمكلف بها والذي يمتلك الحق الوحيد عليها في التسيير أمورها كما يرغب ويقرر حسب مشيئته[1]

ثانيا: فقد حكم عليها بالواجب في الولادة ثم اعتبر ذلك الراهب نفسه نجاسة يجب التطهر منها طبقا لنوع المولود حتى بالنسبة لصفة المولود أو فيما قد يخص جنسه فقد اعتبره الرجل ايضا حكما على المرأة عليها تنفيذه.[2]

إن المرأة هي المتهمة والملامة الوحيدة على الخطيئة، فهي مسؤولة بالدرجة الأولى على سقوط آدم وخروجه من الجنة، لذلك تعد التوراة ذلك المنهج القائم بنفسه تجاه الإساءة للمرأة واحتقارها وتذليلها والحط من كرامتها وإهانتها بأبشع وأسوء الطرق فلا وجود لجنس يسمى امرأة في قاموسهم فلم يعطوا لها أي قيمة ولا مكانة ولا حتى فرصة صغيرة لتثبت نفسها وتتمكن من إبراز شخصيتها.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-المرأة في الديانة المسيحية:

النظرة المسيحية المرأة تقريبا نفسها نظرة الديانة اليهودية، إذ يعتبرونها منبع الشر وقرينة الشيطان وأصل كل خطيئة، فهي التي سقطت في إغواء الشيطان وأغوت زوجها «**فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل**»[1]المرأة هي السبب وراء أي خطيئة ومصائب وأغلاط فلا حكمة فيها ولا وعي يدرك ويستوعب ، ومن جملة العقوبات الواردة في الكتاب المقدس ومن اللعنات المصرح بها « **جدل اشتياق المرأة وميلها إلى الرجل عقوبة لها ومن ثم التحذير من المرأة وإغوائها وتحت هذا الميل على أهم شريعة في الدين المسيحي وهي" الرهينة" كما ولها أيضا عقوبة أخرى من شأنها إذا حملت المرأة وولدت ذكرا تكون نجسة لمدة سبعة أيام أما إذا كان جنس المولود أنثى تكون نجسة لمدة أسبوعين فتعتبر المرأة أثناء ولادتها أو الطمث أن لا خطية لها وتكفير من الرب**»[2] فهي أثناء ولادتها تبقى موسخة وينفر منها وتعزل لمدة زمنية، وحسب جنس مولودها فجنس الذكر يخفف من فتره نجاستها مقارنة بالجنس الأنثى وهنا يظهر الفرق والتمييز بين الذكر والأنثى فالمسيحية آمنت بخطايا المرأة وضعفها على أنها أصل كل البلاء وجميع المصائب بأي ذنب كان دون شفاعة ولا شفقة ، ونجد أن الفكر المسيحي

[1]- سعدية محمد أبو رنديرة، مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، درجه الماستر، ص 67.

[2] - المرجع نفسه، ص 70، 74.

الكاثوليكي نظر إلى السيدة مريم بنظرة مرموقة، فقد أعلوا من شأنها درجات فأوصلوها إلى درجة الألوهية واستحقاق العبادة أما "البروتستانت" لم يعطيها حقها من الاحترام الذي تستحقه إطلاقا بالعكس تماما فقد همشوها وأهملوها وجعلوها في مرتبة دونية لأنها ملعونة وتحمل دائما لعنة حواء العليا التي لطالما ترافق المرأة إلى يوم القيامة، كما نجد عدة نصوص دينية تنص وتسعى إلى التحذير منها والنفور من كل شيء يخصها و هذا ما يتضح في هذه النصوص يقول القديس "كريستوم عنها" :"« **إنها شر وإغواء طبيعي و كارثة مرعوبة فيها وخطر منزلي و فتنة مهلكة فهي مجرد جسد بلا روح إنها تخلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا السيدة العذراء أم المسيح عليه السلام**» .[1]

كما تقر المسيحية الغربية بحقيقة واضحة وكاملة وهي أن تعلم المرأة منكرا يقول "**بوليس المقدس**" **في هذا الصدد: دعوا المرأة تتعلم السكوت والهدوء أمام كل المصاعب والمتاعب**» [2]، فهي ذلك الوحش المفترس أو المخلوق الذي لا يمتلك فرصة الكلام وحرية التعبير والإفصاح عما يريد، إنما هي خلق وجد من اجل تحمل المشقة والذل والمهانة والتعرض لشتى أساليب الترهيب والعنف دون أن يعلو صوتها أو تدافع عن كرامتها أو تثبت شخصيتها.

[1]– محمد عبد المقصود، المرأة في الأديان عبر العصور، دار النشر بالقاهرة، ط1، 1983، ص46.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 48، 49.

3-المرأة في الديانة الإسلامية

إن الإسلام هو الدين السماوي« **الذي سما بالمرأة وأعلى من شانها وقدرها وأعطى لها والمكانة التي تستحقها ونظم كل ما يتعلق بها من أحكام** »[1] فمنح لها القيمة العظيمة والمناسبة وأعاد لها الاعتبار ومجدها بعد ما كانت مذلولة ومهانة من قبل الديانات الأخرى التي أهانتها ووضعتها تحت سيطرة الرجل وسطوه وسلطته ، فقد كان الدين الإسلامي ذلك الحصن المنيع لأي اتهام أو ظلم تجاه المرأة يسيء لها ويمس كرامتها، ويظل الدين الإسلامي متفوقا في عدالة أحكامه عن أي دين آخر سماوي خير دليل النصوص الدينية التالية «**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير**»[2] بين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أن الأنثى من نفس مستوى الرجل فهم سواسية عند الله بمعنى أنها إنسان مثل الرجل تماما ولا يغدوا الرجل أحسن من المرأة كونه ذكر إطلاقا، قال تعالى «**وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**»[3].

---

[1]- ينظر: زكي علي سيد ابو غصة، المرأة في الديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية، دار الوفاء، ط1، ص 8.

[2]- سورة الحجرات آية 13.

[3]- سورة البقرة آية 30.

وقال تعالى :«**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه**»[1] بمعنى إذا انزلهما من الجنة إنما كان بسبب استجابتهما معا لغواية إبليس فتساويا في تلقي الأمر وتساويا في خديعة إبليس كذلك تساويا في الجزاء، و بالتالي لم تكن غواية ادم بسبب حواء و لا كانت حواء سبب هبوطه من الجنة إلى الأرض ،و نجد أيضا في سورة آل عمران :« **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم و أوتوا في سبيلي وقاتلوا لأكفرت عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار توابا من عند الله والله عند حسن التواب**»[2] فمثل هذه الآية تؤكد على المساواة بين الرجل و المرأة وعند الله ومكانتهم في المستوى الواحد فلا يزيد الذكر على انه ذكر مثلا يعطي له الخصوصية أو يميزه ولا ينقص الأنثى لمجرد أنها أنثى كذلك نفس المصير ونفس المكانة فهذا ما جاء به تحديدا في هذه الآية الكريمة حيث يقول سبحانه وتعالى " ...**بعضكم من بعض**..." وهذا توكيد يرفع أي احتمال حتى ولو بسيطا لغرور الرجل برجولته وكل شعور بالنقص قد تشعر المرأة في أنوثتها.

[1]– سورة البقرة آية 36.

[2]– سورة آل عمران الآية 190

«وإذا تمعنا في الخطاب القرآني بدقة ويتمعن وجدنا لفظة الزوج التي تطلق على نوع الذكر والأنثى»[1] فالرجل المتزوج زوج وامرأته فلفظة زوج لا تطلق إلا على اثنين فيقال أكل منهما زوج ويقال لهما زوجان ومن هنا يتضح بجلاء أن دلالة هذا اللفظ في استعماله اللغوي يدل على المساواة بمعنى التساوي والمساواة الإنسانية من صنف الرجل والمرأة فكلاهما إنسان، ومصطلح إنسان يطلق على كلا الجنسين بالضرورة دون التمييز وتفريق ومن هنا تحديدا نجد العدل والمساواة في إطلاق هذه التسمية وجمعهم في كلمة.

ولعل أبرز مثال على أهمية المرأة وإسهامها في تطور المجتمع نجده في النساء الصحابيات، فقد كن يتمتعن بأجود الصفات والأخلاق ولهن الفضل العظيم في كونهن قدوة لكل المؤمنات بما قدمن في سبيل الله تعالى فمن صفاتهن نذكر منها:

«الجهاد في سبيل الله فالصحابيات رضي الله عنهن قد تعرضن للتعذيب والأذى البدني والنفسي بسبب إسلامهن فإن لم تعذب المرأة نجدها قد فقدت أحد أفراد عائلتها فصبرن على ذلك المصاب »[2]، واضطررن أحيانا لترك بيوتهن وشاركن في بعض الأحيان في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، منهن من تداوي الجرحى وتسقى العطشى أو تحضر الطعام ويحملن السلاح أحيانا ليدافعن عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1]– المرجع نفسه، ص 17

[2]– محمد سعيد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات، مكتبة الغزالي، د ت.ص78

كما كان العلم ورواية الحديث «**كصفة ثانية تنسب لهن، كان لهن دور بارز في رواية الحديث وتعلم الأحكام الفقهية** »[1]، والسنن والأحكام عن الرسول صلى الله عليه و سلم و من ثم نشرها و تعليمها للمسلمات اللواتي كن يجدن حرجا من سؤال النبي عليه الصلاة و السلام عن بعض الأحكام الشرعية.

المبحث الثاني: المرأة من المنظور الفلسفي:

تؤكد طائفة من الفلاسفة أنّ هناك اختلافا وتفاوتا بين الجنسين (الذكوري، الأنثوي)، ذلك راجع لعدّة عوامل وأسباب تبرّر هذا الاختلاف ممّا أدّى إلى تهميش المرأة، فجعلوا الرّجل في أعلى المراتب بينما المرأة في أدناها، ينظر إليها نظرة دونية تثير الشفقة والاشمئزاز، كأنّها جسد دون روح وجدت من أجل تحقيق رغبات وأوامر الرّجل لا أكثر.

وإن كانت المرأة هي العمود الأساسي للمجتمع و الأسرة خاصة ، فقد أهينت بشكل كبير على مرّ العصور، و ظلّت تحت قيود و ضوابط حرمتها من جميع حقوقها، واعتبرت منبع الشّرور و مصدر الخطيئة، ويتحمل بعض الفلاسفة مسؤولية هذا التهميش والاضطهاد بسبب موقفهم السلبي منها، يقول الصادق النهيوم في هذا الصّدد : «**إنّ اضطهاد المرأة مسؤولة عنه الفلسفة لا القانون**»[2] فمعلوم أنّ الفلسفة هدفها الأسمى

[1]– مصطفى زهران، روائع من حياة الصحابيات، ص109.

[2] الصادق النهيوم، الحديث عن المرأة والدّيانات، دار تالة للنشر، ط(1)، بيروت –لبنان، 2004، ص52.

الأخلاق و الفضائل و البحث في كل ما له علاقة بالوجود و الإنسان، إلاّ أنّها لم تحم الأنثى من شر العالم، بل كانت أحيانا كثيرة مصدر الشر الذي لحق بها، يقول أحد فلاسفة القرون الوسطى عن المرأة « **إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنّكم ترون كائنا بشريا بل و لا كائنا وحشيا إنمّا الذي ترونه هو الشّيطان بذاته و الّذي تسمعون هو فحيح الأفعى** »[1] هكذا ينظر للمرأة بنظرة تقزيمية قاسية نتيجة مثل هذا الفكر الفلسفي غير المنصف والمعتقدات والعادات أو التقاليد والتعصب الديني بعد ظهور الديانات، و ظلّت بذلك المخلوق المقهور و المغلوب على أمره ، و المحروم من الحقوق منذ الأمد البعيد.

وقد حاول «**امام عبد الفتاح امام" أن يؤكد في كتابه" أفلاطون والمرأة" أن الصورة السيئة عن المرأة الشائعة بيننا هي التي رسمها الفيلسوف منذ بداية الفلسفة في بلاد اليونان ، ثم وجدت هذه الفكرة صدى وأرضية خصبة في المجتمع العربي الإسلامي حتى أنها ارتدت ثوبا دينيا وأصبحت فكرة مقدسة لا يأتيها الباطل، ويتجلى ذلك عند عمالقة الفكر اليوناني، سقراط، أفلاطون، أرسطو الذين أصبحت فكرتهم جزءا من التراث الفلسفي الذي انتقل إلى العالمين المسيحي والإسلامي، فلقيت ترحابا كبيرا واستعدادا لترديدها ودعمها من الناحية الدينية**»[2].

[1] محمد عبد المقصود، المرأة في جميع الأديان والعصور، مكتبة مدبولي للنشر، ط(1)، القاهرة ،1984، ص48.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص .5

1-المرأة عند أفلاطون:

تعدّدت الآراء واختلفت حول علاقة أفلاطون بالمرأة ورأيه فيها، ووصفت «**سوزان أوكين" المشكلة أنّها لغز محيّر غير قابل للحل، حيث كيف يمكن لمفكر متسق التّفكير مثل أفلاطون أن يجمع في وقت واحد بين آراء محافظة ورجعية بل معادية للمرأة تعكس ما كان مسيطرا في التّراث اليوناني من عداء وكراهية وحط من شأن المرأة جنبا إلى جنب مع أفكار ثورية تصل إلى حد رفع النساء إلى مستوى الحكام والفلاسفة في دولته المثالية** »[1]، كما أكد "إمام عبد الفتاح «**أن فلسفة أفلاطون عكست كراهية المرأة المتأصلة في التّراث اليوناني**»[2].

أما " ويل ديورانت" فقد أشار إلى أنّ أفلاطون ساهم في بناء مكانة المرأة إذ كان من أقوى أنصار المرأة[3]، حيث حرص في جمهوريته على المساواة بينها وبين الرّجل ،و أدخلها مجال السّياسة و شؤون الدّولة، واهتم بتعليمها مثل الرّجال ، و أحسن المعاملة معها وسط الظّلام و الجهل الّذي كانت عليه من قبل « **لهذا بدأت أفكار أفلاطون عن مركز المرأة لاسيما محاورة الجمهورية وما دعا إليه من تعليم للحراس الرجال والنساء**

[1] المرجع نفسه، ص 19

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص15.

[3] ينظر ويل ديورانت، قصة الحضارة ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل للنشر، مجلد 7، بيروت 1988، ص 470.

معا ، وإشراك النساء مع الرجال في إدارة شؤون الدولة دعوة جريئة وسط هذا الظلام الدامس»[1]و بالتالي فإنّ أفلاطون درس المرأة من جانبين في جمهوريته ، أراد أن يحرّرها من القيود التّي كانت عليها و من وظيفتها السّابقة "ربة البيت" حيث مهمتها إنجاب الأولاد و تربيتهم فقط ، بالطبع ستختفي المرأة التقليدية لو ألغيت الملكية، كان يعتقد أنّ المرأة من مقتنيات الأسرة ، فإذا ألغيت الملكية تحرّرت المرأة من دورها الطبيعي»[2] إذ من البديهي في نظره أن تكون المرأة تحت وصايا الأب أو الزّوج ، فهي مجبرة على قانون الاحترام و تنفيذ الأوامر الموجهة لها من القوة المتسلطة فوقها ، لكن عندما تلغى الملكية تصبح المرأة حرّة مسؤولة عن نفسها تسيّر أمورها لوحدها و تبني شخصيتها .

2-المرأة عند أرسطو:

إذا كان أفلاطون قد لخص من الناحية الفلسفية وضع المرأة اليونانية، على نحو ما كان قائما في مجتمعه، فإن أرسطو كما يؤكد "إمام عبد الفتاح إمام" قد قنّن هذا الوضع عندما بذل جهده ليضع نظرية فلسفية عن المرأة، يستمد دعامتها الأساسية من الميتافيزيقيا، ثم راح يطبقا في ميدان البيولوجيا والأخلاق والسياسة ليثبت فلسفيا صحة الوضع المتدني للمرأة الذي وضعتها فيه العادات والتقاليد اليونانية[3].

[1] إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، ص19.

[2]ينظر: المرجع نفسه ص13.

[3]إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام للنّشر، ط(1) القاهرة ،1996، ص7.

أثّرت أفكار أرسطو بشكل كبير في الفكر البشري، والعديد من المجتمعات خاصة المجتمع الغربي، بحيث أنّه لقت آراؤه وأحكامه عن المرأة، صداها في الثقافة الغربية، تقول سوزان بيل عن ذلك :«**إنّ الصّورة الّتي رسمها أرسطو للمرأة بالغة الأهمية فقد ترسبت في أعماق الثّقافة الغربية وأصبحت الهادي والمرشد عن النّساء بصفة عامة**»[1].

إن الثقافة الاجتماعية السائدة في أثينا حطت من قيمة المرأة و مكانتها إضافة إلى ذلك فإنّ أرسطو من خلال نظريته التي تعكس هذه الثقافة ينص على أنّ المرأة ضعيفة مليئة بالنّقائص علما أنّ الشيء المتغيّر و النسبي لا يمكن الوثوق من صحته ، أما الرّجل، فله القدرة على ممارسة الفضائل، لذلك يرون أحكامه مطلقة ثابتة "غير أنّ أرسطو لا يكتفي بهذا القدر من نقائص المرأة ، وإنّما يضيف إليها عدم قدرتها على ممارسة الفضائل الأخلاقية المختلفة على نحو ما يفعل الرّجل ، وعدم قدرتها على شغل أي منصب اجتماعي، ثقافي أو حتى قيادة المنزل إنّ مهمتها تقتصر فقط على الإنجاب، بل إنّ مسؤوليتها تكون كاملة إن هي أنجبت الإناث " [2].

[1] المرجع نفسه، ص5.

[2] المرجع نفسه، ص7.

وهذا يدل على أنّها ليس لها القدرة على تحمل المسؤوليات العظيمة، ودورها يكون دائما منحصرا في الإنجاب فقط، يقول عن ذلك: «**أنّ دور العبد هو تزويد العبد الأسرة بمتطلباتها فإنّ دور المرأة تزويدها بالأطفال**» [1].

ولكي نفهم بعمق جذور النّظرية الأرسطية يجب العودة إلى المجتمع اليوناني فلا يمكن إنكار أنّه تأثر كثيرا بذلك الوضع السائد، «**ومعنى ذلك أنّ بعض المجتمعات الشّرقية قديما كانت أكثر تحضرا من المجتمع اليوناني الّذي وضع المرأة في مركز متدن غاية التّدني، وجعل الرّجل هو السّيّد المسيطر الآمر النّاهي**»[2]،وهذا الوضع أوضحته فلسفة أفلاطون وأرسطو.

وقد غلبت الآراء والأفكار عن المرأة على أنّها أدنى من الرّجل فكلّ العادات السابقة أكّدت ذلك، فذهب أرسطو يبحث ويسعى وراء الوصول لمعرفة فلسفية المرأة وماهية الأشياء الّتي سبّبت في أن تكون على ذلك الوضع المزري، وفيما يتمثل المبرّر العقلي الّذي أكّد حتمية أن يكون الرّجل في الأعلى والمرأة في الأدنى «**أصبحت المرأة الهيولي، والرّجل هو الصورة، والمرأة هي المادة والرّجل المبدأ العقلي** »[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص49.

[2] جوستاف لوبون: الحضارة المصرية القديمة، تر محمد صادق رستم، دار النهضة مصر، 1980، ص 23.

[3] ينظر: إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، ص 22.

إن المرأة مجبرة للخضوع إلى القوانين الّتي فرضت عليها سواء كانت قوانين طبيعية أم وضعية، فلا ينبغي عليها أن تختار نمط حياتها فهي مقيّدة «**والخطير في الأمر أنّ أرسطو يعتبر ذلك أمرا طبيعيا، فالطبيعة هي الّتي حدّدت لكلّ موجود وظيفته الّتي يخدم بها الموجود الأعلى، وهكذا كانت النّساء بالطبيعة أدنى من الرّجل وكانت وظيفتهم خدمة الرّجال، ولهذا كان من الطبيعي أن يحكمهنّ الرّجال**» [1].

أشار الدّكتور إمام عبد الفتاح أنّ أرسطو دعم نظريته عن المرأة من خلال اعتماده على البيولوجية علما أنّ البيولوجية علم الحياة الّذي يقدّم مبرّرات عقلية وتفسير الوقائع، ويعتمد أيضا على مجموعة من المبادئ. «**فهاهنا سنكتشف أنّ دونية الأنثى ترجع إلى أنّها مجرد هيولي، فهي لا تقدّم في عملية الإنجاب سوى المادّة الخام، في حين أنّ الذّكر هو الموجود الأعلى لأنّه هو الصّورة أو الرّوح الّذي يبعث الحياة في هذه المادّة الميتة والمرأة أقلّ حرارة من الرّجل ولذلك فهي أدنى منه والمرأة أضعف**» [2].

[1] برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 3، 1978، ص 264.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، ص 37.

3-المرأة عند سقراط:

معروف عن المجتمع الأثيني أنّ الرّجل هو السّيّد، والمالك لجميع الحقوق المدنية والسياسية، فلا منزلة للمرأة فعليها تطبيق الأوامر المفروضة عليها من ثمّ له الحق الكامل أن يسن التّشريعات الّتي يراها مناسبة، فعلى المرأة تطبيقها واحترامها...[1].

وقد اهتم المجتمع الأبوي الأثيني اهتماما خاصا بخيانة المرأة كي يبقى النسل نقيا، لذلك نجد المرأة الأثينية الحرة ملكية خاصة مهمتها الأساسية الحفاظ على الشرف والوفاء للزوج أو الرجل المسؤول عنها، يفرض عليها الحجاب عند خروجها ولا تختلط بالرجال ولا يحق لها التدخل في شؤون رب الأسرة ولا يشترط فيها أي قدر من الثقافة في مسألة الزواج، بل عليها فقط أن تقوم بواجباتها المنزلية والإنجاب والحفاظ على النسل النقي، أما غيرها من النساء كالجواري والعاهرات والأجنبيات خاصة فهن ملكيات عامة يستفيد الرجل من خدماتهن ورفقتهن وأجسادهن ولا يحق الزواج بهن ولا يفرض عليهن وضع الخمار على الوجه ولديهن الحرية في ممارسة النشاطات الحرة والامتلاك والتدريس، لذلك تميزت هذه الفئة بسعة الثقافة والقدرة على مناقشة القضايا العقلية، فهن الطبقة الوحيدة المثقفة والممتازة عقليا بين نساء أثينا ، يدرسن الفنون ويعرفن التيارات الفلسفية الجديدة ولهن اهتمامات بالفلسفة وغيرها من شؤون الحياة، لذلك حظيت طبقة الأجنبيات خاصة

[1] مونيك بيتر، " المرأة عبر التاريخ "، تر هريت عبودي، دار الطليعة للنشر، بيروت، دت، ص 60.

باهتمام أفضل الرجال في اليونان خاصة الفلاسفة الذين انجذبوا إليهن لمشاركتهن لهم تأملاتهم الفلسفية وفسحاتهم العقلية فأقبلوا على مجالسهن وتوددوا لهن.

و من هذا المنطلق ، جلّ الفلاسفة اتّخذوا هذه النّظرة كمبدأ تتماشى الحياة بها ، فنجد سقراط الّذي تأثر بهذا المبدأ و أحطّ من مكانة المرأة و قلّل من شأنها حين أكدّ أنّ حياتها تقتصر في حيّز داخل البيت وبأنّها «**مصدر كل شرّ**»[1] ، كما كان يحبس زوجته بالمنزل ويحتقر عقلها وتفكيرها، في المقابل كان يرفع من شأن الأجنبيات المثقفات ويسعى للقائهن وتوجيههن الوجهة الصحيحة لتكوين علاقات مع الرجال، كما روى أفلاطون في أحدى محاوراته عن سقراط الذي تحدث عن معلمة ممتازة في البيان علّمت كثيرا من الخطباء الممتازين، ويذكر المؤرخون أن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا وسقراط من بينهم إلى جانب فلاسفة ومثقفين وشعراء كسفوكليس ويوربيدس وغيرهم[2].

هناك من رأى أنّ الظروف الشّخصية للفيلسوف وعلاقته بزوجته هي الّتي تعكس موقفه من المرأة، وقد يكون هذا العامل بارز في آراء سقراط هي الحال مثلا عن سقراط

[1] جوري سليم، كره النساء فلسفيا من سقراط إلى نيشيه، مجلة ثقافة وناس، 2018.

[2] ينظر امام عبد الفتاح امام، أفلاطون والمرأة، ص32-41.

قديما، الّذي كان يشكو من زوجته ومع ذلك يقول لتلاميذه تزوجوا فإمّا أن تكونوا سعداء، أم تصبحوا فلاسفة مثلى![1].

المبحث الثالث: المرآة من المنظور الأدبي

1-المرأة في الشعر العربي القديم:

وجد الشعر مع الإنسان وسيرافقه إلى آخر الزمان، فهو عنوان الفخر و ديوان العرب، وقد كان للأمة العربية نصيب وافر من الشعر« **وبلغ إكرامه عندهم أكثر مما بلغ عند غيرهم فجعلوه عنوان الفضل...، واتخذوه وسيلة لحماية أعراقهم و الذي عن أحسابهم و واسطة لتخليد مآثرهم، ولم يكونوا يهنئون بعضهم بعضا إلا من يولد أو فرس تنتج أو شاعر ينبغ**» [2] فالشعر الصحيح هو القائم في تصوير الجميل والقبيح، والشاعر كالبطل كل بيت شعري له بمثابة انتصار، فكل المعاني التي تصدر في نفوس القبائل، كانت تنفجر على لسان الشاعر الذي يمثل القيم الروحية للشعب العربي، وقد احتلت المرأة مكانة مرموقة في الشعر وكانت مصدر الهام العديد من الشعراء، فالشعر لغة عواطف وأحاسيس والمرأة لها تأثير عظيم على هذا الشأن ،إذ يقال أن المرأة قهوة الشعراء وأفيونهم، هي نارهم وهي دخانهم ، ويقول أحد الشعراء ، أنه يشعر بلذة غريبة إذا كانت المرأة بالقرب منه، وكل شاعر متفوق على غيره إلا إذا كانت المرأة بجانبه ، فالمرأة

[1] المرجع نفسه، ص 60.

[2] ينقولا فياض، المرأة والشعر، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، مصر، 2012، ص10.

مهمز عقل كل شاعر و زناد تصوره ومفتاح نجاحه ، فلا حياة لشعر بدون المرأة، فمعلوم أن المرأة مرادفة لكلمة الحب والمشاعر، فإن غابت المرأة غاب الحب و الشعر ومات الشاعر...[1].

✓ **المرأة في الشعر الجاهلي:**

الشعر الجاهلي شأنه شأن كل فن، والمرأة من أهم موضوعاته، فالشعر الجاهلي لغة حب وعشق، صارت صورة الحبيبة هي الصورة الغالبة في قصائدهم .«**يتساءل البعض عن الحب هل وجد بين أبناء الصحراء تحت شمسهم المتوهجة وفي أرضهم المقحلة بين قسوة الحياة وبين العصبية الشديدة... وقد فرضت تقاليد بيئتهم عليهم قواعد الحب الشريف، فكان حبهم متسامحا لم نجد مثله عند الأمم الأخرى، والبدييقدس حبه**» [2].

التاريخ يثبت أن علاقة المرأة بالشاعر الجاهلي كانت علاقة وطيدة، فتمركزت في أشعارهم وفي حياتهم الشخصية، بلا شك إذ كانت المرأة لها مكانة في أشعارهم بالطبع أنها لها قيمة عالية «**كانت علاقة المرأة الجاهلية بالرجل ليست علاقة مادية فحسب، كما يتوهم البعض بل كانت مصدرا لإلهامه وشريكا نفسيا وعقليا له، فلا يجوز أن يشك أحد في العواطف القوية التي نجدها في شعر العرب القديم، الذين أحبوا حبا صادقا مثمرا من صفاته الدوام والثبوت**» [3].

---

[1]ينظر: المرجع نفسه ،ص18

[2]هاشمي علي، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد ،1960، ص42.

[3]– المرجع نفسه، ص44.

تروي قصيدة الغزل العربية خاصة صورة المرأة الصافية التي تشاهد فيها صور الحياة البدوية والجاهلية، وتعبر عن ميولات الشاعر وأهواءه من اضطرابات وعواطف، وتصور أحلامه وقوة هيجانه وانفعاله، فقد «**ارتبطت المرأة عند الجاهلين القدماء بنوع من العبادة الغامضة التي ترمز إلى تقديس الخصوبة والنماء، والشعر الجاهلي مليء بالصور الكثيرة التي تتحدث عن رحيل المرأة الذي يؤدي إلى خراب الديار وإقفارها، ورابطوا بينها وبين الشمس والشمس بمثابة الإله، فكانت معبودة ورمز الخصب عند الإنسان.... الشمس صاحبة الخلق والإبداع والجمال للإنسان**» [1].

فكان حضورها ملهما وغيابها مفجرا للقرائح، وهذا ما نجده مع شعراء العصر الجاهلي من بينهم عنتر بن شداد، امرؤ القيس... وغيرهم.[2]

يتمثل حضور المرأة عند عنتر بن شداد في إعطائها صورة ومكانة رفيعة حيث تمركزت في أشعاره، فنجده وظف الغزل العفيف في وصفها قائلا لحبيبته عبلة:[3]

مهفهفة والسحر من لحظاتها * إذا كلمت ميتا يقوم من اللحد**
أشارت إليها الشمس عند غروبها * تقول إذا اسواد الدجى فاطلعي بعدي.**
وقال لها البدر المنير ألا أسفري * فإنك مثلي في الكمال وفي السعد.**
فولت حياء ثم أرحت لتامها * وقد نثرت من خدها رطب الورد**

---

[1]– يحيى معروف، جماليات التغزل بالرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي، أطروحة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة رازى، كرمانشاه، 2012، ص 131.

[2]– ينظر: عبد الحميد جيدة، مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، ط1، لبنان، 1992، ص15.

[3]– عنتر بن شداد، الديوان، تح يوسف عبد، دار الجيل، ط1، بيروت، 1990، ص 215.

لقد أبدع الشاعر في وصف حبيبته عبلة، كانت لغته قوية صاخبة تحمل في طياتها مبادئ ومفاهيم اجتماعية فيها الظلم والقهر والحرمان الذي عاشه الشاعر، فشبه حبيبته بالشمس، البدر، الصبح، الضوء... الورد.

يؤكد بعض النقاد والباحثين بأن في العصر الجاهلي دلائل كثيرة تبين ما كان للمرأة من حقوق وأنها مساندة للرجل فلا فرق بينهما، ونجد في هذا الصدد طرفة بن العبد قائلا: **«المرأة مناظرة لرجل، وكان من حقها أن تراقب أفعال الرجل، وتسأله عن أعماله وتناقش تصرفاته وتدعوه للاستقامة والفضيلة[1]».**

ويقول متغزلا بإحدى الفتيات:[2]

لخولة أطلال ببرقة تهمد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد**

وقوفا بها محب صحب علي مطيهم * يقولون لآتهلك أسي وتجلد**

الشاعر يستهل قصيدته بذكر الأطلال والديار، ويصور مدى شوقه لخولة والمكان الذي كنت تعيش فيه ويقدم لنا صورة عن حبه وحنينه لها.

[1]– هاشمي علي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 58.

[2]– طرفة بن عبد، الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتاب العلمية، الطبعة 3، لبنان، 2002، ص 19.

كما نجد أيضا شعر الصعاليك الذين يمجدون الحبيبة ويرمزون إلى الزوجة بأنها حواء الخالدة، فمعروف عنهم استبدال المقدمات الطللية بذكر المرأة وقيمة إخلاصها لبيتها وزوجها، وهذا ما تؤكده هذه القصيدة:

لعمر أبيك والأنباء تنمي * لنعم الجار أخت بني عوارا**

من الحفرات لم تفضح أباها * ولم ترفع لإخوتها شنارا**

كأن مجامع الأردان منها * نقي درجة عليه الريح هارا**

يعاف وصال ذات البذ قلبي * ويتبع الممنعة النوارا**

الشاعر في هذه القصيدة يمجد أعمال فكيهة فهو معجب بقوتها وشجاعتها، فقد نظر إلى الجانب المعنوي والأخلاقي وصفها وصفا عذريا يحمل مبادئ أخلاقية.

أما "إمرؤ القيس" فقد صرف قواه الشعرية على جميع المواضيع خاصة موضوع المرأة بتوظيف الغزل الماجن في وصف حبيباته في قوله »[1]:

وإن كنت قد ساءتك مني خليفة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل**

أغرك مني أن حبك قاتلي * وأنك مهما تأمري القلب يفعل**

وما ذرقت عيناك إلا لتقدحي * بسهميك في أعشار قلب مقتل**

وبيضة خدر لا يرام حبائها * تمتعت من لهو بها غير معجل**

تجاوزت أحراس وأهوال معشر * على حراس لو شيرون مقتلي**

[1]– امرؤ القيس، الديوان، تح محمد الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط5، بغداد، ص13.

رسم من خلال هذه المعلقة صورة عابرة عن جمال جسدها بوصف مفاتينها، فيصف جمال رجلها الممتلئة باللحم، ويصف الثوب الذي ترتديه أثناء النوم، فشعراء الغزل المادي يرون أن المرأة منبع الشهوة، وأنها مجرد جسد مشتهى يعبثون به في أشعارهم، التي تموج بالإثارة والإعجاب.

✓ **المرأة في شعر صدر الإسلام:**

جاء الإسلام وغير العديد من الأفكار والآراء السائدة في المجتمع العربي عامة، وقضى على التقاليد والتصرفات السيئة وعلى النظرة الدونية للمرأة خاصة، وهو الدين السماوي الوحيد الذي سما بالمرأة وأعلى من شأنها، وزاد من قدرها وحفظ على حقها، ورفع عنها كل أشكال الظلم والاضطهاد، وجعلها في منزلة مساوية للرجل لا فرقبينهما، والقرآن الكريم أكبر دليل على ذلك .وفي قوله تعالى:

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير»[1].

الإسلام حرر المرأة من القيود السابقة التي فرضتها الحضارات الإنسانية القديمة وهذا ما نجده في أشعار شعراء صدر الإسلام، فسلكوا مسلك الشريعة الإسلامية ونهجها في كل أمور الدنيا " **شعر صدر الإسلام صور المرأة في صورة صادقة، وحفظ لها كرامتها**

[1] – سورة الحجرات، الآية 13.

بفضل الالتزام الذي أوجبه الإسلام على المسلمين والشعراء وغيرهم[1]." فإذا نظرنا لوضع المرأة في صدر الإسلام لوجدناه في مكانة متميزة إلى جانب الرجل تساند الدعوة وتؤيدها وتشارك معه في الغزوات ولذا صورها الشعراء أحسن تصوير.

وقد حرص الرسول على ذلك: «**أدى حرص الرسول والخلفاء الراشدين من بعده إلى أن الشعر من منطلق يمثل القيم الإسلامية وقد وقف الإسلام موقف حازما تجاه الغزل والفاحش وشعر الخمر والمجون** [2]»،كما أوصى الدين الحنيف أن يكون الشعر بعيد عن الذي كان عليه سابقا في العصر الجاهلي بعدما أن كان الشعر الجاهلي يصف جسد المرأة ويكشف على عورتها.

ومن أحسن شعر صدر الإسلام نجد حسان بن ثابت الذي صور المرأة أحسن تصوير من الجانب الأخلاقي والمعنوي وهذا ما نجده في هذه القصيدة[3]:

كالمسك تخلطه بماء سحابة * أو عاتق كدم الذبيح مدام**

نقج الحقيبة بوصفها متنضد * بلهاء غير وشكيبة الأقسام**

بنيت على قطن أجمل كأنه * فضلا إذا قعدت مداك رخام**

[1]– عمر سعيد محمد سعيد، صورة المرأة في الشعر الإسلامي، مجلة البحوث الاسلامية، 2013، ص1.

[2]– المرجع نفسه، ص5.

[3]– حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق حنفي سعيد، دار المعارف، 1983، ص107، 108

الشاعر يصور المرأة على أنها تشفي المريض، فهي مصدر اللذة والألم، والسعادة في نفس الوقت، وصل به الأمر أنها شبهها بالجنية وأعلى من مكانتها وجعلها فوق صفات البشر، فكلمة إنسان ليس كافيا لاكتمال الجمال، لأن الجنية رمز الجمال والأنوثة[1].

و مما سبق، يتضح بجلاء أن صورة المرأة عند شعراء الإسلام لها صورة براقة فهي لم تعد وسيلة للمتعة وإنما تعدت إلى صورة صبغ عليها ملامح مثالية فأثبتوا مكانتها الروحية وقيمتها الإنسانية، ونهجوا نهج الشريعة الإسلامية في الغزل العفيف البعيد عن اللذة و الشهوة" **يتلخص تأثير المرأة عند شعراء صدر الإسلام في أنها تصبي الناسك المتبتل، تشفي المريض ،وتسقم الصحيح، تروق الفواد، وتنتبل الفواد، و تشفي الضجيج ، ريقها خمر يدب في الجسم ، والقلب بها مولع، وتصبي الحكيم، وهي بصفة عامة ذات كل، فريدة بكر، كسول خرعبة، وهي ظبية مغزل، ربة خدر ، أحسن من الدرة، بيضاء، مياعة الصبا، بخبرة تبهرمن يراها طباعتها الوضاءة،.. شموس الانسى آنسة، نوار، شموس الصبا، قتول الهوى، لبست بخراجة، ولا ولاحة ولا بذيئة ولا ثرثارة،**

[1] – ينظر: عبد الجليل حسني، المرأة عند شعراء الإسلام، دار السلام، ط1، مصر، 2016، ص 42.

منعمة لو مشى النمل الصغير على جسمها أدماه، وهي درة حصان، وهي هيفاء غراء فرعاء، تشبه سبيكة الذهب، والسحابة، وبيضة النعام، وهي حسنة المتجرد[1]."

✓ **المرأة في الشعر الأموي:**

العصر الأموي وهو عصر التجديد في الآداب العربية، فقد شهد تحولات في جميع الميادين حيث تعددت الثقافات نتيجة امتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأخرى واختلطت الأجناس وهذا ما خلق تأثيرا فيما بينها، تغيرت العقلية العربية، اتسمت بتحول في منظومة القيم القديمة فيمثل الشعر فن يعبر عن رمزية المجتمع ويعبر عن الحياة الراهنة فيه، وأصبحت الذات العربية والذات الاجتماعية موضوعا للتأمل والنظر. كما اتسعت الأغراض وكثرت باتساع مطالب الحياة الجديدة فنشأت في هذا العصر علوم لم تكن موجودة سابقا على غرار ذلك أنه كان مسرحا للهو والترف والافتتان والطرب المجون والسعي وراء ملذات الدنيا إلى جانب حياة الزهد وحب عبادة الله وحده لا شريك له، وساهم هذا في تطور الأدب من شعر ونثر، فالشعر في هذا العصر، يمتاز بالمتانة الشديدة ذلك بتأثيره ببلاغة القرآن الكريم، وقوة التعبير والإيجاز.

امتدت حياة العرب في هذا العصر فكثر الغزل فيها. «**العصر الأموي شاع الغزل فيه شيوعا واسعا ففي هذا العصر هناك غزل عفيف والغزل الحسي وهناك نوعان**

[1]– حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، الوجه والوجه الآخر، دار الثقافة، ط1، 1998، ص 26.

آخران دار حولهما الاختلاف وهما الغزل التقليدي ونوع آخر اتفقوا على جوهرة واختلفوا في تسميته ونشأته طه حسين يسميه الغزل الهجائي والحوفي أسماء الكيدي وشكري فيصل أسماء الغزل السياسي[1]» .

العرب من عاشقي الغزل، فقد تفننوا في قول الشعر ونظم قصائد طويلة منذ القديم، واحتلت المرأة مكانة مرموقة في الشعر، وتعد من أجمل موضوعاته وتلعب عنصرا أساسيا في قلب شعر هذا العصر، فالتغزل بالحبيبة وذكر محاسنها العفيفة وذلك بالوصف الصادق بالقيم الأخلاقية والمبادئ الناقية التي جاء بها الدين الإسلامي إذ يقال بأن الغزل العفيف نبتة نبتت في العصر الجاهلي ثم ترعرت وتفرعت في العصر الأموي...[2]

بالمقابل ظهر غزل يعكس الغزل العذري والعفيف في مبادئه يسمى بالغزل الحسي والإباحي الذي يكشف على عورة المرأة بدون حياء واحترام وهذا يخالف تعاليم الشريعة ويعبث بحرمة الأسرة والمجتمع ونجد "عمر أبي ربيعة " من مؤسسي هذا الغزل " **عمر أبي ربيعة زعيم الغزل الإباحي يجمع بوصف المرأة والتشبيب بها بمعاني العبث**

[1]– بكار يوسف، اتجاهات الغزل في القرن الثاني للهجري، دار الأندلس للنشر، ط2، 1981، ص 52.

[2]– ينظر: أحمد محمد الصباغ الدهني، الصورة الشعرية في شعر الحسيني في العصر الأموي، رسالة استكمالا على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة جرش، 2015، ص13.

والاستمتاع باللذة المادية مما ينفر منه الأدب الجاهلي".[1] فهذا يهتم بمظاهر اللهو والترف وهمش الجانب الأخلاقي للمرأة وسعى وراء رؤية الجسد المشتهي بوصفه ماديا بذكر مفاتينه وأدق التفاصيل فيه .

الغزل الأموي بشكل عام غني نجد فيه لواعج الحب وزفرات العاشق وهناك من الشعراء الذين قدسوا المرأة وجعلوها في منزلة عالية، وصفوا مدى احترامهم وتقديرهم لها، صنعوا صورة المرأة في غاية الروعة في أشعارهم اهتموا بالجمال الروحي والمعنوي" **المرأة عند العذريين ينظرون إليها أنها محبوبة ملهمة تسمو بهم سماء عالية من الروحانية والصفاء والمتع المعنوية**".[2] فحبهم للمرأة كان مخلصا ووفيا بمعنى كلمة الوفاء وهذا ما عبر عليه" قيس بن الملوح" فيقصيدته "**أحبها** "[3]:

ولا سميت عندي لها من سمية * من الناس إلا بل دمعي رادائيا**

ولا هبت الريح الجنوب لأرضها * من الليل إلا بت للريح جانبا**

فإن تمنعوا ليلى تجهوا بلادها * علي فلن تحمو علي القوافيا**

فاشهد عند الله اني أحبها * فهذا لها عندي فما عندها ليا**

[1]– الحياة العلمية والأدبية للعصر الأموي، مؤسسة هنداوي لنشر Hindawi,org/books/17160604/1.1.5/

[2]– الحوفي أحمد محمد، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، لبنان، 1961، ص 256.

[3]– مجنون ليلى، الديوان، تح، يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1999، ص 124.

هذه القصيدة تكشف عن حب الشاعر لحبيبته ليلى ومدى شوقه لها فهو يحبها إلى درجة أنه يحب الأسماء التي توافق مع اسمها ففي هذه الأبيات لم يذكر إلا الصورة المعنوية لها وابتعد كل الابتعاد عن كل له علاقة بالوجود المادي والتغزل الجسد، كم يعبر عن مدى تعلقه بمحبوبته وذلك مهما قالوا له بأنها غير جميلة إلا أنه يحبها و يراها من زوايا مختلفة عنهم و يلومونه كيف تعلق قلبه بامرأة قصيرة فالحب لديه حب طاهر لا يعترف بجسد العشيقة وشهواتها، والتمتع بمفاتينها .

وفي نفس الصدد يعد "جميل" رائد الحب العذري بحبه لبثينة يقول[1]:

يموت الهوى مبنى إذا ما لقيتها * ويحيا إذا فارقتها، فيعود**

علقت الهوى منها ليلا فلم يزل * إلى اليوم ينمي حبها ويزيد**

أبى القلب إلا حب بثينة لم يرد * سواها وحب القلب بثينة لا يجدي**

فالشاعر هنا يرى أن قلبه لا يحب إلا بثينة لا غيرها، وذهب إلى الإشادة بالغزل العذري البريء، غزل الحب الصادق في العواطف والنفس المجروحة المتألمة، فحبه خالص غير مغشوش، بمحاسن الجسد.

[1]شمس، تطور فن الغزل بين العفاف والمجون في العصر الأموي، العدد 2015، ص179.

نستنتج مما سبق أن كل شعراء الغزل العذري كانت تجربتهم في الحب تجربة صادقة انبثقت من أعماق الروح وتحمل في طياتها العديد من المبادئ السامية والقيم الأخلاقية وصفات الطهارة والعفة التي يأمر بها الدين الحنيف فجعلوا حب المرأة يسموا فوق رغبات الجسد، فهو شعر مخلص لامرأة واحدة حتى النفس الأخير والبوحبخلجات النفس والاكتفاء بها فالجمال عند هؤلاء الشعراء هو الجمال الداخلي المعنوي جمال الروح والقلب وحتى أسمائهم اشتهرت مقارنة بأسماء محبوباتهم وأشار في ذلك ابن الفارض بقوله[1]:

بها قيس لبني هام بكل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة**

يتجلى الغزل الحسي الإباحي في الشعر الأموي، في إعطاء صورة مادية للمرأة ذلك أن في هذا العصر انتشرت ضروب العناء والموسيقى واللهو بحضور جواري وفتيات جميلات فالشاعر من بين الناس انفعالا لهذه الأمور خاصة كل ما يخص عالم المرأة والجمال «**المرأة فهي ملهمة الشعراء وأرباب الفكر**»[2].

يعد "عمر بن أبي ربيعة" زعيم الغزل العربي الذي أفصح في شعره عن كل الخبايا الجسدية للمرأة وسر جمالها كون جسد المرأة تثير حواس الشاعر فيصفها وصفا دقيقا بذكر كل التفاصيل من شعر رأسها الى أسفل قدميها. وأنه لم يتغزل بفتاة نفسها وانما تعدد في ذلك عكس الغزل العفيف الذي كان وافيا لمحبوبة فهؤلاء الشعراء انحرفوا عن

[1]– ابن الفارض، الشعر، دار بيروت للنشر، ط 1، لبنان، 1980، ص117.

[2]– عبد الرحمان البرقوقي، دولة النساء، مكتبة الثقافة الدينية، ص 23.

تعالم الدين الإسلامي فوصلوا إلى معنى كلمة الوقاحة والاستهزاء... فشعرهم في بعض الأحيان خالي من تلك القيم الأخلاقية والمبادئ الروحية.... ويقول عمر بن أبي ربيعة في غزل أحد الفتيات بعد لقائها[1]:

وناهدة الثديين قلت لها اتكي * على الرمل من جبانه لمن توسد.**

فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وان كنت قد كلفت ما لم اتوعد**

فلما دنا الإصباح قالت فضحتني * فقم خير مطرود وإن شئت فازدد**

فالشاعر هنا انتهك حرمة المرأة بتوظيفه الغزل الفاحش ووصف العلاقة التي دارت بينهما ويكشفها دون أن يخشى أحدا ويروي مغامرته وهو فخور بنفسه، ومن خلال هذه الأبيات يستمع بجمالها الجسدي فالمرأة في نظرة وسيلة لتحقيق رغباته، وغاية تهدف للوصول الى المتعة فلم تكن المرأة لها مكانة عفيفة ومحترمة.

ارتبط جمال المرأة عند عمر بن أبي ربيعة بالترف والغنى، لذا احتلت المرأة في أشعاره مساحة كبيرة، فوصف جسد المرأة وكل أجزائه، فهذا الوصف محبوب عنده، وجده ملذا عذبا له.

كذلك نظر العربي إلى المرأة من المنظور الجسدي لها كما رآها عمر بن أبي ربيعة، فهذا الشاعر يكشف عن مواطن الجمال عند المرأة فيقول[1]:

[1]– عمر بن أبي ربيعة، ديوانة محمد الدين عبد الحميد، دار الأندلس، ط1، بيروت، ص95.

كعاب إذا قامت قليلا تأودت * كمشي الحسير مكرها وهو مزحف**

ففي هذا البيت، الشاعر أفصح عن جمال جسدها بأسلوب فاحش، وحركة مشيتها الهادئة التي تعبر عن الرشاقة بحيث تثير في نفسية الشاعر الإعجاب والإثارة الجنسية.

✓ **المرأة في الشعر العباسي:**

العصر العباسي من أزهى العصور ازدهارا وتحظرا مس جميع المجالات، تغيرت مظاهر الحياة وتمثلت في انتشار الزندقة والمجون والترف إلى جانب الزهد و تقوى الله والعيش في القصور وتزيينها بأفخم الأحجار، و هذا نتيجة دخول الحضارات فيما بينها، حضور الأعاجم والاحتكاك بهم مما أدى إلى ترجمة العديد من أمهات الكتب الأجنبية وتشجيع الحركة العلمية والفنون ،حينئذ تطور الشعر العربي تطورا رائعا، إذ أكب الشعراء على العربية بإتقان وتمثيل ملكاتها تمثيلا دقيقا، بحيث أنهم تذوقوا شتى الثقافات التي جمعت بين الجزالة و الرصانة ، وقد "**ازدهر الشعر وبلغ عظمته في العصر العباسي، وبخاصة في النصف الأول منه، فقد كان الخلفاء والوزراء يشجعون الشعراء**

[1]– إبن العربي، الديوان، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، ط1، لبنان، 1998 ص 263.

ويمنحونهم العطايا والهبات ، وكان الاختلاط العرب بالأمم الأخرى ونقل ثقافتهم إلى العربية دور كبير في دخول أساليب جديدة في الشعر العربي[1]."

ارتبط الشعر العباسي ارتباطا وثيقا بالمرأة، ولقت اهتماما بالغا من طرف الشعراء وعلى رأسهم أبي العتاهية، أبي تمام، المتنبي، أبي نواس، وغيرهم من الشعراء والأدباء. ولأن عالم المرأة عالم شاسع وشامل أبدع وتفنن الشاعر العباسي في وصفها، فهناك من أعطى لها صورة معنوية روحية مقدسة، والبعض الآخر يرونها من الناحية المادية أنها جسما جميلا يتمتعون به. وقد "**كانت الجواري والقيان في هذا العصر من العوامل الفعالة في انتشار الظرف والرقة في المجتمع العباسي، حتى أصبح سيمتين بارزتين فيه، رقت الشاعر والأحاسيس.... كثيرا ما يقع حب جارية في قلب شاعر ويصبح محنة لا يجد التخلص منها سبيلا وكان من الشعراء من يقاوم إغراءهن ولكن يغاديهن صباح ومساء مفتونا بهن وعلى هذا النحو كانت دور النخاسة والقيان معارض الجمال، ومعارض مفتوحة ليلا ونهارا يجتمع فيها الشعراء والغير الشعراء يتملون بالجمال ومفاتنه**" [2].

سيطر الغزل على أغلب شعراء العصر العباسي، ذلك لتعلقهم بالمرأة وإعطائها مكانة بارزة في شعرهم، فهؤلاء عبروا عن ما يجول في أهوائهم وما يدور في خواطرهم تجاه محبوباتهم. فالمرأة عند أبي تمام لها مكانة بارزة فلم تكن علاقته بها واضحة المعالم

[1] حمود بن عبد الله السلامة، الأدب العربي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط5، السعودية، 2007، 2008، ص 14.

[2] – شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة، ص 59.

في شعره «**تعددت صور المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام إذ نجدها إنسانة تتصف بصفات إنسانية محظة كالحب والكراهية، والكرم والحرص وغيرها، ونجدها المرأة القوية التي تدفع زوجها للأخذ بثأر قبيلتها، ونجدها المحبوبة المتمتعة والمتعففة، فصورة المرأة في ديوان الحماسة ما هي إلا ذلك النموذج الذي أراده أبو تمام للمرأة.... وحاول تطبيقه من خلال مختاراته الشعرية التي عدت أفضل من أشعاره** »[1].ويقول:

سرت تسجير الدمع خوف نوى غد * وعادقنادا عندها كل مرقد**

و انقذها من غمرة الموت أنه * صدود فراق لا صدود تعمد**

فأجرى لها الإشفاق دمعا موردا * من الدم يجري فوق خد مورد**

هي البدر يغنيها تودد وجهها * إلى كل من لاقت وإن لم تودد**

نستنتج من خلال الأبيات الشعرية أن الشاعر جعل الحب بمرتبة عالية فهو يعبر عن عاطفة حبيبته، فهذه الحبيبة لم تقاوم الابتعاد عنه، وهي تبكي بحرقة وشدة الخوف بأن يتركها وتتوسل من أجل البقاء معه فهو يشفق عليها، ويشغف قلبها ويملأه بالعطف والحنان.

[1]– حنان محمد حميدة أبو سليم، صورة المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام، مجلة الجامعة الإسلامية لدراسات الإنسانية، المجلد 29، العدد 1، عمان، الأردن، 2021، ص 19.

أما "عباس بن الأحنف" الذي يلقب بإمام العاشقين في العصر العباسي، فقد تغني بمحاسن المرأة الروحية، فنجد في شعره النزعة الإنسانية الرائعة إذ وقع في حب فتاة تدعى فوز وتقول الباحثة العراقية عائكة الخزرجي" **أنها علية بنت الهدى أخت هارون الرشيد، وكنى عنها العباس باسم فوز لمكانتها العالية**[1]."

ويقول عباس الأحنف[2]:

أزين نساء العالمين أجيبي* دعاء مشوق بالعراق غريب**

كتبت كتابي ما أقيم حروفه * لشدة إعوالي وطول نحيبي**

أخط وامحوا ما خططت بعبرة * تسح على القرطاس سح غروب**

أيا فوز ولو أبصرتني ما عرفتني * لطول شجوني في بعدكم وشحوبي**

الشاعر في هذه القصيدة يخاطب حبيبته، ويقول لها بأنها أجمل نساء العالمين فهي تعيش في الحجاز، ومن خلال هذا البعد عنها تأثر الشاعر بذلك،فهو يصف شوقه واضطرابه ويتمنى العيش بجانبها،ويبكي بحرقة من شدة حنينه لها والدليل أن الدموع تسيح

[1]– عباس بن الأحنف، حب ووفاء، https: www.khayma.com

[2]– عباس بن الأحنف، الديوان، تح عائكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة 1954، ص12.

على القرطاس حينما يعبر على ما يؤلمه في هذه الصورة الشعرية توحي بقسوة الفراق وعظمة الحب الذي يكنه لها.

بالمقابل هناك بعض الشعراء صوروا مكانة المرأة من خلال التغزل بجمال جسدها بكل أجزائه بشكل دقيق ومفصل، وهذا راجع لميل هؤلاء الشعراء إلى حياة المجون والزندقة ويعد أبو نواس الشاعر الذي تغنى بالمرأة ووصف مفاتنها إلى جانب الخمرة وغرضه الوحيد تحقيق ملذات الحياة، لا يمثل غزله العاطفة، بل التهالك على اللذات غزير المادة ويقول[1]:

وجدت ألذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الفصيح**

ومسمعة إذا شئت غنت * "متى كان الخيام بذي طلوح"**

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح**

وخذها مشعشعة كميت * تنزل درة اللحز الشحيح**

نخيرها لكسرى رائداه * لها حضان مع طعم وريح**

وفي نفس الصدد نذكر أيضا بشار بن برد الذي أسرف إلى جانب أبو نواس في وصف جسد المرأة وهدفهم تحقيق رغبات الجسد... ويقول[2]:

ألا يا طيب قد طبت * وما طيبك الطيب**

ولكن نفس منك * إذا ضمك تقريب**

[1]– أبو نواس، الديوان. تح. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، ط1، أبوظبي، 2010، ص70.

[2]عليالطوابية، وصف المرأة في شعر بشار بن برد، مجلد 43، ملحق6، 2016، ص1445.

وثغر بارد عذب * جرى فيه الأعاجيب**

روحه يشبه البدر * عليه التاج معصوب**

وعين تسحر العين * وما في سحرها حوب**

وصف كل من أبي نواس وبشار بن برد المرأة وصفا حسيا وتغزلوا بجمال جسدها من رأسها إلى أسفل قدميها فهؤلاء من شعراء الغزل الماجن الذي يكشف حرمة المرأة فبالغوا في هذا الوصف فلم يهتموا بأخلاقها وإنما جمال الجسد هو غايتهم في نظم قصائد طويلة وكان هدفهم معاشرتهن وإغوائهن لإشباع رغباتهم الجنسية" **صدر الدولة العباسية فيظهر في شعر بشار وأبي نواس وإضراما: عبث شبابي في أغاني الطرب ومظاهر الترف**[1]."

كما نجد أيضا "البحتري" حيث يقال لشعره "سلاسل الذهب" من أشهر شعراء عصره وفي مقدمته لإحدى القصائد تتضمن وصفا حسيا للمرأة وغزلا ماجنا قائلا[2]:

إن الضباء غداة سفح محجر * هيجن حر جوي وفرط تذكر**

من كل ساجي الطرف أغيد وأجيد * ومهفهف الكشحين أحوى أحور**

أقبلن بين أوانس مال الصبا * بقلوبهن وبين حور نفر**

فبعثن وجدا للخلي وزدن في * برحاء وجد العاشق المستهتر**

[1] حمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي، دار النهضة، ط1، القاهرة، 1950، ص48.

[2] البحتري، الديوان تح يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية بيروت، 1987، ص704.

الشاعر يصف الأوانس في عز الشباب مشبها إياهن بالغزلان ثم يتحدث عن حبه وشوقه ولوعته ويصف تلك المرأة بأنها مهفهفة وساجي ولينة الطرف. فيصفها وصفا حسيا.

2-المرأة في الرواية والمسرح:

2-1 الرواية:

تعد الرواية جنسا أدبيا حديثا مقارنة بالشعر، وقد توسعت دائرة الرواية وانتشرت خلال فترة زمنية قصيرة ذلك للجهود المبذولة من طرف الكتاب، فتقوم برصد التحولات المتسارعة في الواقع والتقاط الأنغام و الإيقاعات، فهي تعبير عما يجول في أعماق الذات، تصور الإنسان من زوايا متعددة في إطار المقدس و المدنس، وأعادت النظر إلى الجوانب المهمشة في المجتمع، وسمع صوت المظلوم من خلالها، تدعو إلى حرية الإنسان وتحقيق كرامته وتحرير الأرض، والمساواة بين أبناء البشر، طارحة قضايا اجتماعية، وطنية، سياسية، بوجه الخصوص قضية المرأة، فهي بمثابة الصدر الأرحب والمتسع لمعاناتها و آلامها، و كل هذا تصوره في قوالب لغوية يعجز اللسان عن

وصفها. «**الرواية هو الفن الذي يوافق ما بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنينه الدائم إلى الخيال. وما بين غني الحقيقة وجموح الخيال** »[1].

احتلت المرأة مكانة مرموقة ومساحة شاسعة في العديد من الأعمال الأدبية خاصة الروائية، فهناك من انتصر للمرأة و أعلى من شأنها و دورها الفعال في المجتمع، و هناك من رفض هذا الطرح، فحصر مهمتها كما سلف الذكر في الإنجاب، و في إشباع رغبات الجنس الذكوري ، و نجد الدكتور صالح مفقودة يؤكد أن وجود المرأة في الأدب و الأعمال الروائية أمر معقول ولا يمكن الشك من صحته: «**في ميدان الأدب يحتل مساحة كبيرة فقصائد الشعر العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الرسامين، تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار و الأفلام، و المرأة في الرواية تحتل نصيب أوفر وكذلك الشأن في الدراسات الأدبية الاجتماعية**"[2]. ويقول أيضا: "**استحوذت المرأة على القلوب والعقول، أما وأختا، وزوجة** »[3].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عظمة شأن المرأة في الأعمال الروائية، وأن المرأة تلمس جميع ميادين الحياة شعرا كان أم نثرا أم رسما، إشهارا، تمثيلا...إلخ.

---

[1]– فريجات عادل، مزايا الرواية (دراسة تطبيقية في الفن الروائي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص 9.

[2] – ينظر: صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 2009، ص10.

[3]– المرجع نفسه، ص 5.

من هذا المنطلق، أصبحت المرأة محورا أساسيا في الكتابات الروائية للتعبير عن مختلف الأفكار والتصورات العقلية، فهي تعد رمزا فنيا زاخرا في العديد من الأعمال الروائية «**ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في رواياتهم وقد عبروا عنها في صور عدة في أعمالهم لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى تمثل دلالة و رمزا ثريا موحيا عن الوطن**»[1].ونعني بهذا أن المرأة هي نصف المجتمع و الدعامة الثانية التي تقوم عليها الأمم نظرا لدورها الفعال الذي تقوم به في بناء الحضارة و سموّها فهي في مكانة الأم ، الزوجة، المربية، الأخت، المرشدة...إلخ.

اتخذ العديد من الروائيين المرأة منبعا عذبا في أعمالهم ورمزا للتعبير عن النفس وعن الحياة وتعقيداتها «**فهناك من اتخذوا من المرأة مجالا للتعبير عن نفسه ونجد بعض الأدباء يركبون الموجة ليجدوا من خلال قضية المرأة مجالا للتعبير عن كوامن النفوس، وأسس الحياة لتصبح الدنيا في نظرهم امرأة، والمرأة قضية، والحياة سباق و مبادئ و قيم، فهي عنوان المثالية، وعنوان السقوط والنهوض**»[2].

إن الحقيقة تقودنا مهما اختلفت الآراء حول المرأة وتعددت إلى تلك الدائرة المنغلقة التي رسمها الرجل، فينظر إليها بنظرة دونية «**الجسد هو سبيل الكتابة عند المرأة، ونارها التي**

[1]– غدير رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة الماجستير، الدراسات الأدبية المعاصرة، كلية الأدب، جامعة بيرزنت، 2006، ص 18.

[2]– محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة، دار الزهوان لنشر، ط1، عمان، 2010، ص 95.

تنصب، ومعجزاتها التي لم تكتمل، فمن الجسد تقبض المرأة على شيطان لغتها، ومن معجمه تزين السرد ببروقه، ورعوده، وتركب على أحصنة اللغة»[1].

هناك من الروائيين الذين يتخذون الجسد وسيلة لتعبير عن قضايا راهنة في المجتمع. والكتابة عن جسد المرأة حرفة رائعة تستقطب الكتاب عامة والقراء بصفة خاصة. «**تمثلت صورة المرأة في العمل الإبداعي قصة أو رواية رمزا للوطن والأم والحبيبة كما مثلها جسد المرأة الذي كان الأداة التي استعملت للدلالة على هذه الرموز التي حملت العديد من القضايا السياسية والاجتماعية... وهذا ما نراه في الأعمال الروائية**»[2].

ويؤكد الدكتور محمد مصايف في كتابه" الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام أن المرأة في رواياتنا " لا تقوم بدور الخليلة التابعة كما كان الشأن غالبا في الأعمال الأدبية ذات النزعة الرومانسية أي لا تقوم بدور الخادم للرجل، والمسلي له، بل تضطلع تماما مثل الرجل بدور نضالي، قيادي في المسيرة، ويكفي أن نقرأ روايات ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، و الشمس تشرق على الجميع لإسماعيل عموقات، و

[1] – الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد 4 جانفي 2009، ص 71.

[2]– لخضر لمياء، الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، مقاربة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في مشروع المناهج النقدية المعاصرة، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة سانيا، وهران،2014،2013، ص 90.

نار و النور لعبد المالك مرتاض، فالثورة الجزائرية لا تقوم على عنصر الرجل وحده، بل تقوم عليه و على عنصر النساء اللواتي يأبين إلا أن يقمن بدورهن كاملا في الثورة.[1]

كما أشار سلامة موسى إلى ضرورة تحرر المرأة من كل القيود التي عملت على قيدها و تهميشها ففي أعماله الأدبية تمركزت المرأة بشكل كبير و اتخذها موضوعا بالغ الأهمية نظرا لعظمة مكانتها في الأسرة و المجتمع فيؤكد بأنها ثمرة لألف مليون سنة من التطور بعد ما شهدته من معاناة و ظلم و اضطهاد، الرجال ينظرون إليها بسخرية ولا يبالون لدورها الفعال في تربية الأجيال و المساهمة في بناء المجتمع، يتهمونها أنها إنسان ناقص، فهي ناقصة عقل وعاجزة عن استيعاب ما يدور حولها، ومن خلال هذه الاتهامات بقيت منغلقة على نفسها لا تستطيع أن تفرض وجودها في جوانب الحياة و مجالاتها، المجتمع يعمل على إعلاء أعمال الرجل و تحقيق طموحاته بينما الأنثى عكس ذلك، و إن اقترفت خطأ فتعاقب عليه بثمن باهض و هذا نتيجة لعادات و تقاليد باطلة...[2]

[1]– ينظر: محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، د.ط.، 1983، ص312.

[2]– ينظر: سلامة موسى،" المرأة ليست لعبة الرجل " كلمات عربية لترجمة والنشر، القاهرة، 2011، ص 08،09.

يقول سلامة موسى: «**أنت إنسان لك حق الحياة، و اقتحام التجارب البشرية، و حق الإصابة و الخطأ لأنك بغير ذلك لا تحصلين على تربية إنسانية**»[1] و من خلال الأخطاء يتعلم المرء العديد من الأشياء، و يفهم الكثير من المبادئ، فالمرأة في نظره يجب أن تفرض نفسها في هذه الدنيا الواسعة المليئة بالخبايا، عليها أن تحقق أهدافها، وتصل إلى حقوقها المفقودة لقرون طويلة، يجب أن، تكسر ذلك الحاجز الذي يلقى بها إلى التهميش و العبودية خاصة عبادة الرجل و خدمته «**أنت لست خادمة الرجل يلعب بك و يلهو، و تنجبي له الأطفال و تطبخي له الطعام و تغسلي له المرحاض، أنت شريكته إذا شئت و لست خادمة**»[2].

هناك العديد من النماذج الروائية التي تبين مكانة المرأة وهمومها وطموحاتها وآلامها وأمالها ووضعها المزري وقيمتها، من ذلك:

أ –رواية " تاء الخجل" لفضيلة الفاروق:

هذه الرواية تمتاز بتوظيف الجسد الأنثوي باعتباره الوجود المادي للمرأة، حيث درست فضيلة الفاروق المرأة من جميع الجوانب، فتبين صورة المرأة المهمشة في المجتمع والعنف الجسدي والمعنوي الذي يمارس عليها، واتخذت الاغتصاب شكلا من أشكال العنف الذي تشهده المرأة، فهي الوحيدة المضطهدة في المجتمع «**وحدهن المغتصبات**

[1]– المرجع نفسه، ص11

[2]– المرجع نفسه، ص12.

يعرفن معنى انتهاك الجسد، وانتهاك الأنا، وحدهن يعرفن وصمة العار، وحدهن يعرفن التشرد والدعارة والانتحار، وحدهن يعرفن الفتاوى التي أباحت الاغتصاب »[1].

إن المجتمع مليء بالضغوطات من جهات عديدة، فالجنس الذكوري متسلط دائما و أبدا على كل الجوانب، والمرأة منذ خروجها إلى العالم لا تحظ بالترحيب، ينظر إليها بنظرة دنيئة كأنها منبع كل الشرور، والمعاناة التي تعانيها سببه المجتمع والعادات السيئة، وهذا ما تشير إليه فضيلة الفاروق «**منذ العائلة... منذ المدرسة،... منذ التقاليد... منذ الإرهاب كل شيء كان تاء خجل، منذ أسمائنا التي تتعثر عن آخر حرف، العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة، منذ أقدام من هذا، منذ الجواري و الحريم، منذ الحروب التي تقوم من أجل مزيد من الغنائم...إلى أن لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع، و انتهاك كرامة النساء، لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي»**[2].

ب –رواية "قليل من العيب يكفي" لزهرة ديك

تعد الكاتبة زهرة ديك من اللواتي أعطين للمرأة حقها و بيّن أثرها البالغ في الحياة، ففي رواية "**قليل من العيب يكفي**" تبين حالة المرأة ومعاناتها في الحياة، بحيث أنها تبقى ضعيفة أمام الرجل، وهذا الضعف ما يجعلها مهمشة، فهي تمثل عبئا ثقيلا على الأسرة والمجتمع، ومحرومة من جل الحقوق ، و هكذا تبقى تحت سيطرة سلطة الرجل.

[1]– فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الريس للنشر، بيروت، 2003، ص56.

[2]– المرجع نفسه، ص 11،12

فشخصية "بدور" في هذه الرواية تبين مكانة المرأة في المجتمع والأسرة بصفة خاصة لم يوضع لها قيمة، فهي مهانة من طرف زوجها «**فمرة قال لها أحب ذاك الجانب من الخردة فيك، انتفضت واقفة خردة؟...أية خردة ... أنا خردة** "[1]" **فهي امرأة فقدت كرامتها ببقائها مع رجل يتصدى لها في كل مرة تحاول الاقتراب منه**»[2]ونجد أيضا في هذه الرواية المرأة الجزائرية المهمشة إبان العشرية السوداء. " أم هاني" الفاقدة للهوية همشت من طرف الدولة وحتى من عائلتها، فقد تخلو عنها، فبقيت هذه المرأة المسكينة وحيدة في الشوارع «**فمشهد هذه المرأة التي خلفها موت مر**[3]» .

مما سبق نستنتج من خلال هذه الرواية لزهرة ديك أنها تحمل في طياتها قضية المرأة العربية المهمشة. والصورة النمطية للمرأة فصفة الأنوثة تشكل قيدا في تحررها.

ج –رواية "امرأة من نقطة الصفر" لنوال السعداوي:

نوال السعداوي من أبرز الروائيات والمدافعات على حقوق المرأة، فهذه الرواية تتحدث حول المرأة التي تكون ضحية النظام الاجتماعي والعادات والتقاليد. وأصبح الحديث عنها شبحا يطاردها في جميع الأقطار مهما كانت منزلتها ومكانتها فشخصية "فردوس" في هذه الرواية تمثل المرأة المهمشة والكائن الرقيق المنكسر تحت قيود الرجل

[1]– زهرة ديك، قليل من العيب يكفي، دار بغدادي لنشر، الجزائر،2009 ص208.

[2] – المرجع نفسه، ص 129.

[3] – المرجع نفسه، ص78

مهما تقلدت أعلى المناصب والمراتب «**كنت أعرف أن النساء لا يصبحن رؤساء لدول، لكني كنت أحس أنني لست كالنساء ، ولست كالبنات، فالبنات من حولي كلهن يتحدثن عن الحب، و أنا لا أتحدث عن الرجل**[1].»ونجد المرأة الشجاعة والطموحة على الرغم من الألم والمعاناة التي تعانيها يوميا «**لكني اجلس في الظلمة وحدي أفكر، ترى ماذا أكون في المستقبل، وهل سأدخل الجامعة، هل سيدخلني عمي الجامعة**»[2] كما أشرنا سابقا، مهما كانت طموحات المرأة، إلا أن المجتمع يكون حاجز ا أمام أهدافها وأحلامها، وقد تكون الأسرة بصفة خاصة عائقا في تحقيق ذلك، وحريتها مسلوبة و لا حق لها في اتخاذ القرارات الخاصة بها، فهي مقيدة من كل الجوانب «**لم تحصل فردوس على العدالة من أي شخص لا أحد يريد أن يدافع عنها، حتى عمها الذي كان يحبها بل يخالفها و يؤلمها، و يبررها بالتصرفات من ضارة جسديا وعقليا باسم الأخلاق والدين...، لكن قال لي أن كل الأزواج يضربون زوجاتهم، وزوجة عمي قالت لي أن عمي يضربها... وقالت زوجة عمي لأنه يعرف أن الدين يبيح ضرب الزوجة وليس لزوجة الفاضلة أن تشكو زوجها وواجبها الطاعة الكاملة**»[3].

---

[1]– ينظر: سيتى مريم، رواية عند نقطة الصفر لنوال السعداوي والعبيدة الخالفي مقارنة في ضوء النقد الأدبي النسوي، أطروحة للحصول على درجة الماجستير، قسم الآداب، كلية العلوم الإنسانية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية والحكومية، جاكرتا، 2010 ص 26.

[2]– المرجع نفسه، ص 29

[3]– نوال السعداوي" امرأة في نقطة الصفر " مؤسسة هنداوي لنشر، 2017، ص 63.

كانت هذه المعاناة شكلا من أشكال البؤس التي تواجهها كل امرأة سواء في المجتمع العربي أو العالم كله، لم تحصل المرأة في هذه الرواية على العدالة الحقة بل كانت تحت أوامر سلطة الرجل، فالنساء لهن واجبات يتقيدن بها ورجال لهم حقوق يتمتعون بها، فتبقى المرأة محرومة من حقوقها، وتقاوم كل ظلم تواجهه من اجل أخذ حقوقها من سلطة الرجل والتقاليد السيئة التي رمت بها إلى الدنس والتهميش.

ويتضح لنا بجلاء أن الكاتبة نوال السعداوي قدست المرأة وأولت لها اهتماما بالغا وهذا دليل على أن كل أعمالها تدور حول موضوع المرأة ومعاناتها.

2-2 المسرح:

❖ صورة المرأة في مسرحيات توفيق الحكيم

لا ريب في أن المحيط الذي يفتح فيه الإنسان عينيه والمناخ الذي يجده أثناء طفولته وشبابه يلعب دوراً بارزاً في بناء شخصيته ورسم مكانته في المجتمع «**لأن الإنسان بحدّ ذاته هو صورة المجتمع الذي عاش فيه وهو العامل والعنصر الوحيد الذي لديه القوة على مواكبة كل ماله صلة بمحيطه الذي ارتبط به وهذا ما يعكس جلياً على سيرة الفنان والأديب بصفة عامة**»[1].

[1] إبراهيم ميمون، المرجعية الاجتماعية لمسرح توفيق الحكيم، عام 2011 م، ص، 320.

ومن المسلمات أن المرأة احتلت مساحة كبيرة في مؤلفات الكتاب العرب سواء الشعراء أو الروائيين أو كتاب المسرح ، وقد تباينت نظرتهم إلى المرأة ، فنجد مثلا "توفيق الحكيم" الذي كانت بدايته فيما يخص آراءه وأفكاره عن المرأة 1923 م في مسرحياته، وذلك عندما ظهرت مسرحيته باسم "المرأة الجديدة" والتي أظهر فيها قلقه من أثار نفور المرأة من فكرة الزواج لدى الشباب، و تداعيات هذا الاختلاط في العلاقات الزوجية وانعكاساتها على حياة الأسرة بشكل عام، قد أصبح من شأنه أن يعمل على إخماد رغبة الاتصال بين الطرفين عن طريق الزواج، كما أن الخوف والقلق من السفور في الأسرة واختلاط زوج هذه بزوجة ذاك أو بغيرها قد يؤدي الأمر بانهيار الحياة الزوجية[1].

فنجد إذن مسرحية "المرأة الجديدة" والتي تجمل الطابع الهزلي والكوميدي ماهي إلا مرآة صادقة لمشاعر الحكيم ومدى تخوفه وقلقه من إمكانية ظهور أثار سلبية جراء سفور المرأة السائد، «**إذ ظهرت في تلك الأيام حركات تدعو إلى حرية المرأة واستقلالها على حسب ما يزعمون مع أن الواقع هو غير ذلك الآن وراء هذه الحرية المزعومة أهداف ومقاصد محددة تكمن في إبعاد المرأة العربية من موقعها الأصلي وتفكيك نظام الأسرة في المجتمع وبالتالي تعميم الفساد الأخلاقي**»[2].

[1] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] الحكيم توفيق، ملامح داخلية، مكتبة الآداب، القاهرة 1982 م. ص 127، 128.

ومن الأهم أن الحكيم قد وصف بأنه عدو للمرأة وخاصة عندما ظهر له مقال «**في جريدة أخبار اليوم بعنوان "أنا عدو المرأة والنظام البرلماني" وقد أثار هذا الكلام حفيظة النساء في مصر حتى أنكرت المرأة المصرية المتحضرة أفكاره وألقت عليه النهضة بالتخلف والرجعية وعلى رأسهن زعيمة الحرب النسائي "هدى الشعراوي" مع أن الحقيقة كانت عكس ذلك لأن المرأة قد حازت لدى الحكيم مركز الصدارة من حيث أهميتها في ضوء مسرحياته و نبل موقفه من المرأة و من عديد القضايا الحساسة ناتج عن رؤية فردية أخلاقية عند الحكيم**»[1].

وفي عنوان أخر لأحد مسرحياته "أمام شباك التذاكر «**والتي هي عبارة عن قصة حقيقية مرّ بها الحكيم في فرنسا «حاول أن يعرض أحداثها على العالم العربي وهي أحداث دارت بينه وبين بائعة التذاكر في المسرح فضلاً عن قصة الحب التي نشأت بينه وبين فتاة مغتربة في فرنسا**»[2]، غالبا ما نجد الحكيم يبدي تخوفاته وقلقه مما يترتب من أثار سلبية على المجتمع جراء حرية المرأة واختيارها لشريك حياتها ومحاولتها من أن تكون مجاورة للرجل وهذا بارز في جلّ مسرحياته ورواياته.

لقد ظلت المرأة محور كتابات الحكيم حيث نجد «**أنه يصف تضحيتها بحياتها في مسرحية " أهل الكهف" ويثنى على المرأة ويطلب منها التثقف والعمل والكفاح وفي**

[1] مندور محمد، مسرح توفيق الحكيم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، ص 22.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مسرحية "ميلاد بطل" فإنه قد رسم صورة جميلة للمرأة المثالية وكيف أنها تتطوع لأجل تمريض جرحى الحرب، لأنها تؤمن بضرورة القيام بما عليها من واجبات ومسؤوليات تجاه المجتمع وهذا ما أبدته الشريعة الإسلامية في السماح للمرأة نحو سقاية العطش ومداواة الجرحى وما إلى ذلك»[1].

كما نجده يرى في خديجة رضي الله عنها نموذجا للمرأة المثالية ة التي يجب أن يقتدي و يحتذى بها في جميع شؤون الحياة كونها تكبدت الكثير من أجل تأييد الرسالة المحمّدية فهي أهل لتكريم و التنجيد، و للتركيز أكثر على موقف الحكيم اتجاه المرأة نورد قوله « **إن موقفي من المرأة لم يتغير على الإطلاق في أي مرحلة من مراحل العمر و إن هناك فرق بين شعوري الخاص نحوها و شعوري العام فشعوري الخاص تجده في كل ما كتبت شعور المحبة، أو ما هو أكثر من المحبة، أما شعوري العام من المرأة باعتبارها تطالب فب المجتمع بوظيفة تشابه وظيفة الرجل تماما فهذا ما أخالفها فيه، و لم تتغير طبيعة هذا الخلاف منذ مسرحية المرأة الجديدة من اليوم** »[2].

ومن هذا المنطلق نجد أن الحكيم ينظر إلى المرأة بعين الالتزام والتقدير لكن بشرط ألا يتجاوز الحدود التي سمحت لها بها الشريعة الإسلامية وألا تعارض الأعراف والأقدار

[1] شكري غالي، ثورة المعتزل، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1966 م، ص 286.

[2] الحكيم توفيق، تحت شمس الفكر، مكتبة الآداب، القاهرة، ص، 49.

الإنسانية لأنه يرى ضرورة أن تكون المرأة على قدر من الثقافة فهي المعلم الأول والجيل مرهون بتربيتها تربية سليمة.

3-المرأة في الأدب الصوفي

يدعو الأدب الصوفي إلى الإصلاح والتربية النفسية وتطهير القلب من الرذائل وتغذيته بالفضائل بعدما كان الفكر الإنساني في المجتمعات الإسلامية خاصة في العصر العباسي منشغلا برغبات الجسد ونزوات الحياة «**غني التصوف بعزوف النفس عن الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عند زخرف الدنيا وزينتها و الزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة**»[1].وهذا الأدب هو ما أنتجه الزهاد والصوفية من خلال تجاربهم الصوفية التي تعكس قيما وأخلاقا معرفية بحتة، ويحتل مكانة مرموقة في الوسط العربي ويمتاز بغزارة المنظوم والمنثور، يقول احمد أمين «**الأدب الصوفي أدب غني في شعره غني في فلسفته، شعره اغني ضروب الشعر وأرقاها وهو سلس واضح، إن غمض أحيانا، وفلسفته من أعمق أنواع الفلسفة الإلهية و أدقها، ومعانيه في دقة السمو، نقرأها فتحسب أنك تقرأ معاني رقيقة عارية لا ثوب لها من الألفاظ، خياله رائع يسبح بك في عالم كله جمال و**

[1]الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، دار الهدى، ط1، عين مليلة، الجزائر،2004، ص 34.

عواطف صادقة يعرضها عليك كأنها كتاب إلهي تقلبه أنامل الملائكة يقدس الشعراء فيه الحب»[1].

إن العلاقة الموجودة بين الأدب والتصوف علاقة وطيدة لأن أهداف الأدب تتفق مع أهداف الصوفية «**فالصوفية تدعو على السمو والارتقاء بالنفس البشرية فوق تفاهة الحياة اليومية، واهتمامات العالم الدنيوي الذي يرى في حياته سوى يومه المحدود بالزمان والمكان ونفس المهمة يحاولها الأديب** ».[2]

وقد احتلت المرأة في الأدب الصوفي حيزا واسعا ، فهي تمثل رمزا يحمل إيحاءات وسمات صوفية راقية ،أفرد الصوفيون مساحة شاسعة من كتاباتهم لها ولموضوع الحب الإلهي ، فلم يتكلموا عنها من المنظور الجسدي بل قدسوا وجودها واحترموها ، فهي رمز الخصوبة ورمز الحياة وأساس استمرارية الوجود الإنساني ومنبع الحنان والحب والجوهر والجمال ، يقول ابن عربي عنها «**المرأة تجلي المطلق الجميل، وهي مرآة لكل ما هو محبوب وجميل ولكل ما هو نقي وشريف، باعتبارها أيقونة لبهاء الحق وجماله ونضارته المطلقة الخالدة المفتوحة على ديمومة القدسية المطلقة**»[3].

---

[1]محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في لتراث الصوفي، مكتبة الغريب، القاهرة، مصر، ص 73.

[2]نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، 2003، ص403.

[3]رندة حنينة، محمد قربييز، رمز المرأة وأبعاده العرفانية في مقام الحب الإلهي، المرأة في ترجمان الاشواق لابن عربي، مجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 12، العدد 2، 2020، ص 307.

لولا مكانة المرأة العالية، لما سجلت أخبارها في العديد من الكتب والسجلات الصوفية فأخبار النساء الصوفية مخزونة في موسوعة تاريخ الإسلام، وحضور المرأة كان حضورا أنيقا ، فهم يرونها بنظرة مغايرة للجميع ، وقد تعددت تسمية المرأة عند الصوفية ولكن كلها ترمز لصورة المحبوب الواحد وهو الله عز وجل، لأن المرأة هي المرآة الوحيدة التي يرون و يعبرون من خلالها عن الذات الإلهية، فالصوفية في نزوع دائم نحو الأسمى وتقديم صورة مثالية للعالم في معراجهم الروحي، وبالتالي يحرصون على تجسيد هذا في صورة المرأة، بينما كانت مهمشة عند بعض الاتجاهات، إلا أن التصوف الإسلامي هو الوحيد الذي رسم لها صورة لا مثيل لها ، وتبقى التجربة الصوفية في الحب والعشق تجربة روحية لا يفك شفراتها إلا من عاش تلك التجربة[1].

نقل الأدب الصوفي أخبار النسوة الصوفية وأقوالهن، منهن المؤدبات اللواتي سجلن بصماتهن على الحياة الروحية ومنها العابدات، والمخلصات، وعلى سبيل المثال الزاهدة رابعة العدوية التي اتخذت التصوف عالما خاصا بها، تخالف نسوة المجتمع العباسي إذ سعت عبر المجهودات النفسية إلى التقرب من الله وحده، وميزت بين حبين، حب الهوى، وحب الاستحقاق قائلة:[2]

[1]ينظر: سعاد الحكيم، المرأة في الفضاء الصوفي، مجلة الفيصل، 2019.

[2]أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، القاهرة، ص131

أحبك حبين حب الهوى * وحب لأنك أهل لذاك**

فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواك**

أما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراك**

تعد المرأة رمزا ساميا في أدب المتصوفة وشعرهم بالوجه الخصوص، فالمرأة يراها الشاعر مظهرا جماليا عظيما يستنتج من خلالها عدة تأملات وصور تجمع بين المادي والمعنوي، وهي رمز من رموز الصوفية من خلالها يخترق الشاعر الصوفي عوالم الجمال والجلال والقدسية، ورد في كتاب "حديقة الحقيقة " **أن المرأة الصالحة خير من ألف رجل** »[1]. ومن المسلمات أن المرأة احتلت مساحة كبيرة واهتمامات بالغة في المكتوب الصوفي فيقال أنها "**ذات حالمة، وحلم مشخص، وأصل للوجود والخلق، و سبيل التسامي الروحي، و حضور مضمخ بالعشق الرمزي والسحر الكشفي يكسوك الجمال صفة الدهشة موقفا، إنه جمال الهي.....المرأة معراج للترقي في الكمال والعشق».**[2]

[1]حسين بنبادة، صورة المرأة في الخطاب الصوفي، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد 5101، 2016.

[2]المرجع نفسه.

❖ **الحضور الأنثوي في التجربة الشعرية الصوفية:**

ترى الباحثة "أمل محمد الأسدي "أن الشاعر الصوفي «**يمضي في ديوانه تحت مظلة الحب الإلهي الذي يقوم على رمزية المرأة لذا يتأرجح بمظهرها في القصائد بين الروح و الجسد فهو يتوسل بالحضور الروحي للمرأة الرامز للحب الإلهي** [1]»والدارس للأدب الصوفي يجد أشعارا كثيرة بدت فيها المرأة رمزا موحيا للذات الإلهية وهو الله سبحانه و تعالى، بتقنيات فنية لم يسبق استخدامها من قبل وبمستويات لغوية في التعبير تتجاوز نطاق المألوف في الإبداع وخلق عوالم جديدة ، يقول ابن العريف[2]:

ألا قل لمن يدعى حبنا * ويزعم ان الهوى قد علق**

لو كان فيما ادعى صادقا * لكان على الغصن بعض الورق**

فأين التحول وأين الذبول * وأين الغرام وأين القلق**

ففي هذه القصيدة "لابن العريف" نجد الحضور الأنثوي كرمز مهيمن في الشعر الصوفي، أما عند ابن الفارض فهي تمثل حجر الأساس في الأدب الصوفي خاصة في

[1]أمل محمد الأسدي، مرجع سابق.

[2]إبن العريف، محاسن المجالس، تح آسين يلاتيوس، المكتبة الشرقية، باريس، 1933، ص 97.

الشعر من خلالها يعبر عن أحاسيسه تجاه الحب الإلهي، المرأة في نظره هي نور من نور الله وأصل للخلق الروحي، يقول[1]:

أهفو إلى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج**

وكل سمح من اللاحي به صمم * وكل جفن إلى الإغفاء لم يهج**

لا كان وجد به الأماق جامدة * ولا غرام به الأشواق لم تهج**

وأيضا[2]:

من لي بإتلاف روحي في هوى رشا * حلو شمائل بالأرواح ممتزج**

من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج**

فالشوق والحنين والتعلق هي الروابط الرئيسية التي شدت الصوفي إلى المرأة، فهي بمثابة الجسر لذلك، وقد قدم ابن الفارض نفسه هدية لحبيبته التي سكنت أعماقه، وتربعت على عرش أحاسيسه فالمرأة عنده رمز للحب الإلهي، ولا يوجد رمز آخر يعبر عن هذا الحب المقدس.

أما عن المرأة في فكر ابن عربي، فهي حاضنة للألوهية المختزلة في كينونة "المرأة" ويرى أنها مجموعة من القيم الروحية الجميلة وحضورها يشكل مرجعية متميزة، والحب الذي ينادي به ابن عربي، هو حب عفيف غرضه الحب والجمال وهذا ما يشير

[1]ابن الفارض، الديوان، تح، الخالق محمود، منشورات عين، ص 331.

[2]المرجع نفسه، ص 332 .

إليه من خلال أشعاره الصوفية، فيقول في قصيدة تحت عنوان «**مرضي من مريضة الأجفان**»[1].

مرضى من مريضة الأجفان * عللاني بذكرها عللاني**

هفت الورق بالرياض وباحت * شجو هذا الحمام مما شجاني**

بأبي طفلة لعوب تهادى * من بنات الخدور بين الغواني**

طلعت في العيان شمس فلما * أفلت أشرقت بأفق جناني**

مما سبق يتضح أن الشاعر يعبر عن العشق النقي الذي أصابه، فقد رسم ابن عربي صورة للمرأة في بالغ الأهمية وجعلها مركز الأدب الصوفي ووضع على رأسها تاج التقديس والتعظيم «**و يعد الشعر الصوفي في هذه الواجهة شعرا غزليا، تم للصوفية فيه التأليف بين الحب الإلهي و الحب الإنساني و التعبير عن العشق في طابعه الروحي من خلال أساليب غزلية كان قد تم تكوينها و نضجها الفني**»[2].

[1] محي الدين بن عربي، الديوان، ترجمان الأشواق، دار صادر، ط 3، بيروت، لبنان، ص 78، 79.

[2] عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس ودار الكندي للنشر، ط1، بيروت، 1978، ص 163/162.

الفصل الثاني:

تمثلات الأنثى في رواية تلك المحبة

المبحث الأول: الأنثى المركز /البتول المقدسة

أولا: الجسد المقدس

ثانيا: الروح المقدسة

المبحث الثاني: الأنثى المركز /نجمة المدنسة

أولاً: الجسد المدنس

ثانيا: الروح المدنسة

المبحث الثالث: الأنثى/ الخنثى الهامش

أولا: هامشية المرأة المفعول بها

ثانيا: هامشية الذكر المفعول به

تمهيد:

لطالما كانت المرأة انعكاسا لكل ما هو رقيق وأنثوي، وقد تناولها بعض الكتاب كجسد بلا روح، لكن هناك من مزج بين جسدها وروحها، ونظر إليها كذات واعية وعقل يفكر ويدبر وجسد جميل يشتهى، ويعد الكاتب الحبيب السائح من أبرز الروائيين الجزائريين الذين سعوا وركزوا على وصف عوالم المرأة الداخلية والخارجية، فقد حظيت المرأة الصحراوية بعناية الكاتب الخاصة، وعنوان الرواية الذي هو العتبة التي تقودنا إلى تخومه وضفافه يعكس صورة واضحة للمرأة التي سخرها الكاتب لبناء نصه الروائي. تدور أحداث هذه الرواية في نطاق الصحراء الجزائرية بالتحديد في مدينة أدرار، منطقة (توات) فقد استثمر فيها الكاتب الطابع الديني، والتاريخي والصوفي والعجائبي والأسطوري، حين سرد بوادر الاختلافات والصراعات باحترافية، وذلك من خلال الشخصيات الروائية التي جسدها في عمله الروائي، تمثل البتول الشخصية الرئيسية والبطلة في الرواية ،فهي تمثل الصورة المكملة لمعاني النبل والحكمة والقداسة، فتزامنت الأحداث في هذه الرواية لترصد صفات البتول الأخلاقية، وجمال جسدها الخارق، وتكشف أيضا عن مبادئها الإنسانية، ومركزيتها في المجتمع الصحراوي، لكونها رمزا للجمال والرشاقة والأناقة، ومنبع العفة والطهارة، فهي المرآة المرغوبة والمحبوبة من الجميع، كما نجد إسماعيل الدرويش كشخصية محورية ثانية في الرواية يمثل دور العاشق الولهان، المفتون بالبتول، إذ يسعى ليكون الشخص المثالي والرجل الحقيقي التي يستحق حب البتول، كما نجد نجمة

كشخصية محورية بارزة في الرواية، لما مكانتها في المجتمع الصحراوي ، وهي امرأة جميلة وجذابة لكن جسدها جسد الخطايا، وروحها مدنسة لرذالة صافاتها وشناعة سلوكاتها التي رصدتها الرواية .وقد تعددت في الرواية شخصيات تراوحت بين المركزية والهامشية جسدتها نساء من مختلف فئات المجتمع، منهن مبروكة المثقفة وحسونة المغنية، والعرافة وهن يمثلن الأنثى المهمشة المقهورة، كما تناولت الرواية فئة مهمشة أخرى وهي فئة الشواذ جنسيا ، وهم نموذج للذكورة المحتقرة والمهانة اجتماعيا حتى جنسيا .

المبحث الأول: المرأة المركز /البتول المقدسة

أولا: الجسد المقدس.

جعل الروائي من المرأة حركة تخدم السرد، إذ نجده يركز على مصطلح الجسد في الرواية والذي يحمل صورتين هما :جسد الطهارة وجسد الدناءة، فلا ينحصر الجسد في بعد الشهوة والإغواء والفتنة إنما يخترق باب روح الإنسانية ليحمل أبهى معاني النقاء والصفاء والعفة والقدوة من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يحمل أبشع الخطايا والرذائل المشينة، و تمثل البتول بطلة الرواية الجسد المقدس والمشتهى الذي ليس في متناول عشاقها الذين هاموا بها، فهي الأنثى التي أخذت من عالم الإنس الحكمة والدهاء والرزانة إلى جانب سحر جمالها وجسدها الذي يعمر نشاطًا وحيوية وشبابًا بحيث يميزها عن سائر النساء و ذلك كونه سحر وجمال من عند الجن كما أشار الراوي، فقد أخذت ألباب

كل من حولها سواءً الجنس الذكوري أم الأنثوي إذ تمثل المركز والأصل ، فهي المرأة التي تؤدي دورًا فعالاً سواءً جنسيا أو اجتماعيا إلى جانب أنها تحمل كل صفات الأنوثة المتميزة من الجمال والذكاء والحكمة، بغض النظر عن فتنة جسدها الذي حير العقول وهز كيان كل عين أبصرتها «ولو كنت أعرف شجرًا غير النخل أكثر رشاقة وأوفر آلاء وأطول عمرا في القفار وأعظم هيبة وأجل صمتًا لشبهتك به » [1] فهي المرأة التي تماثل شجرة النخل جمالاً وعطاءً من خلال جمال وروعة جسدها المنحوت البهي فلعل أقرب شبيهة لها تلك الشجرة العالية المثمرة والممتلئة بعراجين البلح والدقلة التي ينبعث منها النور الساطع يأخذ عقل كل من أبصر به وحدق لحظة بجواره «فلقلبك خضرته وشعرك لون تمره ولوجنتيك ألق شمس الصبح على رمله ولريقك مذاق رحيقه ولأنفاسك رائحة ياسمين زنجبار في بساتينه» [2]

كان كل منظر رائع من النخلة تجده حاضرا ومجسدًا بتفصيل في جسد البتول، فكل تفصيل بسيط يرمز إلى مفاتنها وعورتها التي من خلالها سحرت وخطفت أنظار وعقول كل من رآها، فقد علقت بني البشر في شراكها وجعلتهم أسيرين يسبحون في أوهام عشقها، وانتظار لحظة بلوغها وفرصة التقرب منها، على أحرّ من الجمر« ولشفتيك عكرة حناء

[1] الرواية: ص 21.

[2] الرواية: ص 21.

في جنانه وفي مشيتك وقع من اهتزازه بالشمول مهتدلاً بالعراجين»[1] فهي ذلك المخلوق الذي برز تميزه وتفاوته عن من حوله، خصوصية رهيبة لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بوجود هذه المرأة المثالية والفاتنة المرغوبة من الجميع دون استثناء، «**وخطي بشفتيك على صدري صبر النخيل على الالتظاء فإني ماؤه، إني ترابك إنك عصف الرغبة وأنفاس الاشتهاء**[2]» .

البتول ذلك الجسد المشتهى المقدس، والمبجل، لما تحويه من نقاء وصفاء وطهارة روحية داخلية، وتليها الطهارة الجسدية الخارجة المرئية، فالقلوب تصرخ من شدة ولعها وشغفها، فهي تلك السيدة العظيمة التي كرمها الله بحسن الأخلاق والخلق، وأضفى عليها بنعمة لتكون جديرة بالتقديس والتمجيد، «**ولمن يراك فيشتهيك حرقة في حشاه كلظى ليل (تيمياوين) ووحشة حمادة (تنزروفت) ولفرفتك إن وله بك نار المنتظرين ليلاً في توه الفلوات أن تظهر لهم نجمة القطب** »[3].

يصف قلب عاشق مفاتن البتول فهي تلك النار الحامية التي أحرقت وألهبت قلوب من أحبها، فالبتول أخذت عقل عاشقها وسلبت أنفاسه وأفقدته صوابه، وتركته في حرقة ودوامة عشق كبيرة، يخايل ظلها ويشتهي النسيم الذي يحوي في طلباته ريحها ونفسها، إذ

[1] الرواية: ص 21.

[2] الرواية: ص 24.

[3] الرواية: ص 21.

يتحصر من بعدها وسواد الدنيا بلا وجهها الذي هو نور ساطع يكشف عن كل ما هو جميل ومثير في الحياة.

« افتحي بوابات جسدي كلها بيديك المائيتين الدافئتين، وازرعي في قلبي بذرة مما علق عصا الرجل الصالح تنمو عشبًا أفرشه لقدميك إلى عين الحياة لندخل في صمت الرمل» [1].

يصف العاشق /الدرويش جمال يديها ونعومة ملمسها، فهو ذلك العاشق المجنون الذي يجري وراء أهواءه وشغفه فيسعى إلى أن يكون الشخص المثالي والرجل الجدير بالثقة، وبالتالي يكون له الحق والراية ليمتلك محبوبته، ويبقى بجنبها وحده ولا أحد سواه، فيقطنا معاً عمق الهدوء والسكون، أين لا تبصر بها عين إلا عينه التي تدمع من شدة حرقتها على محبوبتها وبعده عنها.

«ألاشي إحساسي بحلمتي نهديك العامرين النافرين، حدثنا لساني عن باكور التين »[2].

لم يترك صاحب المصنف مفتنًا من جسدها المغري والملفت إلا ووصفه بدقة وبرغبة شديدة، كأنه يتلذذ لمجرد ذكره لكل تفصيل دقيق في جسدها، وقد وصل به الأمرّ

[1] الرواية: ص 24.

[2] الرواية: ص 24.

إلى تشبيه نهديها بباكور التين الناضج والممتلئ واللذيذ جمالاً وحلاوة، لا تقاوم كل من صارت على بصرة عينه دون الحديث عن إحساس من تذوقها فهذا الفوز الكبير بعينه، فالتين فاكهة عجيبة لما تحويه من فوائد عظيمة، وبالتالي فهي مكرمة من عند الله عز وجل ولعل خير دليل سورة التين المنزلة في كتاب القرآن العزيز الحكيم قال تعالى:« والتين والزيتون {1} وطور السنين {2} » [1].

إن العاشق أحسن التمثيل ولديه بعدا في حدس التشبيه، حين أحسن المقارنة بين نهدي البتول وثمرة التين.

« إنّك كلمّا أمعنت فيها في الفراش مستورة بغلالة من العري، تمثلتها بعدا من رمل العرق تحولت ألوانه بضياء الشمس تبرا في الصبح والضحى، ومسحوقًا من اللجين في الظهر والزوال، وفي الأصيل والغروب، أشعة قزحية خالطها الطل، فما ثبت لعينيك لونّ منها في جسدها، فما بلون قموحبلمبروك أو مَرْكبة أو حاج علي هي أشبه.

وعن كل أنواع الرّطب بلحًا وتمرًا تميزت ألوانها، فحاشا، أن يضرب بالطين أحمره وأتربه أصفره وأخضره، مثل لبدنها، أما الذهب فإن بشرتها كانت ستخطف بريقه فتصفو عن كل معدن، فلا يعود ملمسُ منها للبشر، لذلك تعذر التشبيه وتلك عقدة سرها[2]» .

[1] الآية 2، سورة التين.

[2] الرواية: ص 99.

يصف العاشق الولهان الذي فقد السيطرة على مشاعره وأحاسيسه وقلبه وعقله، جسد البتول الفاتن الذي لا وجود له أين يتعذر على امرأة أين ما كانت أن تحمل جسدًا كجسدها، مفاتن بعجز اللسان عن وصفها فقد استعان برمل العرق الممزوج بذرات من النحاس ليقرب صورتها وجمالها الرقراق الذهبي الساطع، كالنور ونعومة ملامسة يديها الرقيقتين الملساء شديدتا البياض والنصاعة.

فقد ركز بوصفه على فكرة أن جمال البتول وسحرها لا يمكن أن يتوافق ويشبه إلا بما هو من سحر وروعة جمال الطبيعة، فمقارنتها بالذهب والرمل والعرق والنور دليل قاطع على تميزها وجمالها النادر الذي لا يحمل مثيل العشق وسحر جمال البتول، أخذا بالعاشق إلى أغوار بعيدة أين وجدّ نفسه غير قادر على التحكم في أهوائه وجلّ مشاعره، وهذا ما جعله يركز على كل تفصيل دقيق وبسيط يخص البتول، حيث بات كل أمر يشغله ويتوق لوصفه والتحدث عنه، إلى جانب يديها الملساء الشديدتا النعومة هناك أصابعها الأكثر جذابة ونحتا كأنها شموع ،كما وصفها وذلك لاستقامة طولها وأظافرها التي تبرق من شدة البياض والنصاعة، كأنها مرآة تعكس روحها الشفافة النقية والعفيفة.

«ترشفك من شفتيها المرطبتين ريقا من شهد مازجه ما حوته مسكرات الروح، فما لعينيك نظر بعدُ ولا تحديد كأنك في قلب الغيبة وهدهدة السبات ونشوة التحليق، يملأ عليك صدرها المثمر الاحتضان والعمران فتذكر له باختيال، التفاح والرمان وبطيخ

الأندلس الصغير، وكل ما جاد به التشبيه والتمثيل في الاعتدال بين اللين والصلابة والرخاوة لثمرات الدنيا، إن عبرت سرتها وجدتها مجوفة كثغر كأس حادقة كيلاً تسع غير رشفة خمر واحدة، أو أنت نزلت نحو شعرها الكريم لمست إناء مكفوءًا، ودخلت أصابعك تغيب في ملاسة الوبر[1]» .

ذلك الجسد المغري وكل تلك الرشاقة العامرة والمذهلة، التي سلبت عقل العاشق وقهرته وجعلت منه أسيراً لرغباته بالحصول عليها، فيحدث عن كل عورة فيها تسحر من شفتيها التي يعتبرها بمثابة مسكرات الروح، كأنه يفقد السيطرة ولا يتوازن إطلاقا لمجرد رؤية شفتيه أنما كأنه أخذ جرعة أفقدته كل ما هو موجود فيه فأصبح يسبح في بحر العشق ويحلق في السماء كالطائر الذي تاه عن مساره، ويرغب بأن يستمتع بحلاوة الحياة وروعتها.

«إن أنت ظفرت منها ببسمة، كأنها من شفاه عذراء جميلة خلت نفسك طفلا دعتك إلى ملاعبة محظورة على صغار»[2].

« لعل الشموع استعارت صقلها من أصابعها المعتدلة الطول والعامرة البنانات المنعمة السلاميات الناصعة الأظفار جمعًا ليد بضة يفيض منها السخاء كرجليها الصغيرتين الظريفتين المكتنزتي الطاحلين »[1] .

[1] الرواية: ص 102.

[2] الرواية: ص 101.

يركز العاشق على نوع الابتسامة التي تبرز بوضوح على وجه البتول إذ يصفها بنوع من البراءة والتي تجذب كل من حلت عينه به حتى فئة الأطفال الذين يتمتعون بأرقى المشاعر وأصدقها كأنها لمجرد بسمة تصدر منها تزكي كل القلوب وتنسي بها كل الهموم وتغير نظرة الناس للحياة إذ تحببهم وتثبتهم على الاستمتاع واللهو وتجعل منهم بعالم السعادة والحب والجمال.

بحثا عن رغبته وجريًا وراء أحلامه بغية تحقيقها يقر العاشق بحقيقة أن جسد البتول هندسة ربانية وتحفة عجيبة ونادرة وبيس من المعقول التي تلاقي جسداً أكثر بروزًا وتميزًا وانجذابا كجسدها غالبا لم يتمكن من إيجاد شبيهة لها ولا عناصر حيوية ليقارن بها مفاتنها فلجأ إلى الطبيعة الساحرة وخيراتها المنعمة بجمال المظهر الخارجي وروعة المذاق لما في داخلها بغض النظر لجملة الفوائد التي تحملها، فشبهها بالتفاح والرمان وبطيخ الأندلس لصدرها المثمر.

«عيون البتول كُحْلُ ظلمة تشرين وحواجب مرسومة كما حرف النون، وأهدابها رواحات قاضي من ريش أسود يهزها سيادين، وإن وصفت الخدود شبهنها مطبوعتين كما الخوخ موردين، والأسنان حب تبرولي مقطرين، وعن القوام أضعن قد مربوع هايف كالأميرة تتهادى بمشي رزين، الصدر ثامر بزوج تفيحات في جنان مسرغبن، الاصباع

[1] الرواية: ص 101.

شموع والزنود مرامر، السيقان قوالب سبحان الخالق مشمعين، والأفخاذ من رقب عليهم رخام ما وصفوه أولين »[1].

تجلت عدة أوصاف للبتول فجسدها الفاتن لا يسكت الأفواه بل بدفعها للنطق والتبجيل به فهي تغري كل من صادفها بعطره من رائحة المسك المنبعثة منها حيث تحملها نسمات الهوى بين هباتها لتحط بها كي تبث الحياة في شتى النفوس والأرواح وتدفعها السمو والتأمل والحب والعشق العفيف المقدس.

فكل من أبصرها لفتت انتباهه لما فيها من كمال في خلقها ورشاقة جسدها فكأنها لوحة مرسومة بدقة ومتحوفة ومطبوعة لا يتخللها نقص ولا خطأ شيء فيها حقيقي وطبيعي يرمز لأغلى ما في الطبيعة من ثروات كالذهب والماء والثلج وإلى الثمرات الأكثر حبًا للبشر وتعلقا بها واستحالة الاستغناء عنها. كأنها سحر فتن بها الجميع وعجزوا عن الانفلات منه أو بالأحرى إدمان رهيب يجري ويتدفق محله محل الدم الذي يمشي في الأوعية ليصل إلى كل أنحاء الجسم دون استثناء، فالعاشق يعتبرها النفس أو الهواء الذي يستنشقه ويعيش به لنقاوته وطهارته وضرورته القصوى للاستمرار في الحياة.

فقد بات العاشق مذهولاً بكل هذه المزايا التي لا تعد ولا تحصى ولطالما يحلم بها كل رجل أن تجتمع في محبوبته، وتسخر له ذلك الجمال كله ليستمتع ويتلذذ به في كل

[1] الرواية: ص 104.

لحظة يرغب فيها بذلك فلعل جل هذه السمات هي التي تثير شغف الرجل وتجعل منه أكثر مخلوق محظوظ وسعيد على وجه الأرض فيحس كأنه يمتلك كل العالم.

«لما كانت النساء المعجبات بالبتول أغواهن التحدث عن سيدة بهية نبيلة، كما وصفتها المشمولات بنعمتها الشاكرات لبياض يدها، فإنهن شبهن بشرتها بماء الزلال والحليب ورائحتها بأطياب النعيم، وقلن إلى الحمام تغدو مشيتها، وعلى وقع الغزلان يتناغم تبخترها، ومن شموخ النوق ترتفع كبرياؤها، حتى إنهن لم يتركن شيئا جميلا ولا عجيبا أو مدهشاً لم يستعرن منه لها، فسرى ذكرهن تقديدًا في قلوب حاسداتها ومخالب غيرة مرقت أكبادهن» [1].

نجد أوصاف هذا الجسد الجليل على لسان كل المعجبين حتى النسوة فقد ساهمن في توصيف مفاتن البتول إعجابا أو غيرة منهن لدرجة نبهن حتى لكيفية مشيتها فلا يغدو ذلك إعجاباً أكثر مما هو غيرة واستياء من هذا المخلوق العجيب والرهيب والغريب. فهي تتمتع بكل ما يجعلها محل حسد وحقد وبغض لما هي عليه حيث أخذت من روعة الجمال مقداره وأجمله بقمة أخلاقها ونفسيتها الطاهرة المقدسة السيدة« **تنسي الورعين**

[1] الرواية: ص 109.

أنفسهم أنهم زهدوا بما انسبغ عليها من آلاء لم تعرف لامرأة في الصحراء قبلها ولا بعدها» [1].

إنها امرأة مميزة افتتن بها الرجال وانبهروا من كثرة جمالها وروعتها إذ انجذبوا نحوها واستسلموا لمشاعرهم وجرو خلف العشق والرغبة وفتنة الجسد المغري.

«إنها مثل الصحراء لا يتقدم بها عمر ولا تنالها شيخوخة ولا يصيبها لوث ملكتها الأرواح سر الشباب لا يزول إلا بيوم قبضها»[2].

إن رشاقة وجمال البتول اللذين حظيت بهما من عالم مختلف تماماً وهو عالم الجنّ كما يذكر عاشقها الدرويش، وهو منح لها الثبات في سنها المفعم بالشباب والحيوية والذي لا يفنى ولا يزول برمشة عين أو في أي لحظة إنمّا يستقر بها ويدوم ليجعل منها الأفضل والأجمل على الدوام.

هكذا كان حضور الجسد الأنثوي للبتول/المقدسة بقوة، فهو الجسد المبجل والجليل والنادر والمشتهى بالرغبة والحلم فقد أضفى عليها جسدها القيمة والمكانة المرموقة وسمى بها عاليا لتحلق درجات وتبلغ أسمى قمم العزّ والتقديس والقدوة والامتنان، فهي زخرفة ربانية ولغز حير كل ناظريه وأهلك كيانهم من الافتتان به، فإشراقة البتول وإطلالتها

[1] الرواية: ص 109.

[2] الرواية: ص 104.

ورشاقتها سحرت كل مخلوق وأفقدته صوابه وشتتت تفكيره وجعلته عاجزاً أمام السيطرة على هوسه وغرامه لما فيها من إثارة رهيبة.

ثانيا: الروح المقدسة

إلى جانب صورة البتول ومركزيتها الجسدية ثمت هناك صورتها الروحية التي تحمل رمزية وطابع القداسة في شتى الأبعاد ومختلف الجهات فهي تتصف بالحكمة والرزانة في مواجهة الأمور والمواقف والذكاء في التسيير والتخمين في إيجاد الحلول وترصد الحقائق، فهي تمثل الشخصية الحذقة والحريصة على التغلب على كل من بتسلط من حولها إذ نجدها في هذا الموضع حكيمة «**حدثت عن امرأة وهبت من بني البشر الحكمة**» [1]سخر الله عز وجل لها نعمة الحكمة في عقلها الجبار لتسخيرها في خدمة البشر وتكون لهم صورة للحق وقمة الأخلاق والمكارم وحسن التدبير أمام بصرة أعينهم.

«**ليس يهم أهل الشأن أن أنسب إلى أب أو أن تعرف لي أم، فحسبي لا تلم فيه، وإنما بقدرة الحق كنت، وبالنجدين اهتديت، ولكني بالهوى ضللت. لذا، ما حييت كنت المغفرة طلبت** »[2].

[1] الرواية: ص 104.

[2] الرواية: ص 13.

إن قمة الأخلاق تكمن في التواضع، فالأصل لا ينبع منه إلا ما هو أصيل فالبذرة الصالحة تغرس وينبت منها كل ما هو صلاح وخير وبركة ورزق، فمن سلك سبل الحق واتخذ من الحق مهدًا له فالنتيجة حتمية في مزايا ذاك الشخص وصفاته فالبتول اهتدت وخطت خطواتها على طريق الحق والصواب ما غرس فيها أجمل المكارم والمبادئ التي من خلالها تمكنت من بلوغ مكانتها المرموقة في قلوب كل من عرفها وصادفها فمزاياها تظهر ولو بإشارة بسيطة منها فالمرء بأفعاله يبدي صورته أما أعين الناس، عن تلك السيدة «**التي لم تبق قولاً هنا يسبق أو يلحق إلا سطرته يدلها نبيلة**» [1]

صفات البتول هي من تكتسبها الوقار والنبل وتتجسد في أفعالها وأقوالها وكل ما تقوم بممارسته، فتلك المرأة العظيمة والمثل الأعلى الذي يأتي كل شيء من عندها مستحسن ومرحب به في نطاق واسع ورغبة شديدة من الجميع فهي الخير بعينه« **البتول أرضًا واحدةً لسكة واحدة**»[2]، أنها المرأة العظيمة التي أبهرت الكل بسلوكها وأساليبها الطاهرة والنقية فهي مثال وقدوة وقمة في العفة إذ تسعى دائمًا لتكون وفية وصادقة حتى في علاقتها الغرامية، فهي من النوع الذي يكتفي بمحبوب واحد ولا يسعى إلى صيد الرجال واستدراجهم بالكم بل قناعتها في شخص واحد تشارك معه حياتها وتستمر معه ليكونان سند لبعضهما في السراء والضراء، المرأة الصالحة والعفيفة والصادقة النوايا

[1] الرواية: ص 13.

[2] الرواية: ص 57.

والمشاعر التي لا تخذل ولا تفكر حتى في هذه الأمور المشينة والذميمة فهي ملكة وسلطانة وصدق الحديث والواقع أثبتا أنها كذلك في عين وقلب وروح حبيبها وعاشقها.

«فإن البتول لم ترى يومًا ويداها في العجين لكن كل من ذاق في بيتها طعاما لم ينس الحلاوة التي حضر بها المأكول»[1].

روحها البريئة ونفسيتها الطاهرة وتصرفاتها الأخلاقية جعلت منها امرأة تحب الستر وتتجنب الاختلاط والتباهي وأن تكون عرضة لكل الأعين والمارين والداخلين والخارجين، فهي ليست مجرد سلعة تحط على واجهة لتعرض على الناظرين، فتفضل الخفية والهدوء والتأني في جميع حالاتها والأمور التي تقوم بها براءتها وطهارتها ومزاياها الحميدة والفضيلة جعلتا منها سيلان على كل لسان حيث يظهر ذلك في قول الراوي:

«إما كانت النساء المعجبات بالبتول أغواهن التحدث عن سيدة بهية نبيلة »[2].

لم تترك البتول الانطباع الجيد اللائق في نفوس الرجال وفقط وإنما صفاتها والحديث عنها تجاوزت الرجال والمغرمين لتصل حتى إلى النساء، إذ لم تسلم من لسانهن حتى ولو كان كلامهن نابع من تأثرهن بشخصيتها وإعجابًهن بها وبما تتصف به من أبهى الصفات وأنقاها وأجملها، فلعل هذا جانب من جوانب الغيرة من جهة، ومن جهة

[1] الرواية ص 101.

[2] الرواية: ص 109.

أخرى حيرة من صنفها ومعدنها وما تتمتع به من خصال تستحق المدح والذكر، وجديرة بأن تكون قدوة لمن يتبع سبلها فلعل الله عز وجل سخر لها جلّ هذه الشيم لتكون عبرة في الصلاح والفلاح بغية تحسين مبادئ وسلوك وتصرفات البشر في المجتمع الصحراوي والدفع بهم نحو الأفضل.

وفي موضع آخر تتضح أيضا خصالها بجلاء«**لا أخاف امرأة مثلها لأنها لا تغدر، ولكن أهابها لأنها تملك كل ما لأميرة من الشرف والفضيلة والرومانسية، وتلك شيمة العرق النبيل فسيدتك أمثل ما تكون عليه قديسة لما تثيره في غيرها من انجذاب نحوها ومن إحساس بأنها تتملكه**»[1].

البتول القديسة كما وصفوها هي المثل الأعلى الذي يقتدى به تتمتع بكل ما فيه حسن وخير وصلاح لذا فكل شخص حولها يدرك جيدًا وبصورة واضحة شخصيتها وشيمها العظيمة، فلا عيب يلاحقها ولا أمر غير مرغوب فيه أو حتى سمة ذليلة تكنى بها، فالإنسان الأصيل أبعد منه أن يكون محل الشك في نواياه وأفعاله إذ هي بمثابة لوحة جميلة نقية طاهرة مضيئة تثير وتؤثر، تترك تلك النظرة الرائعة والمغرية وبالتالي لا تنسى ولا تغيب عن العقول والنفوس بل تظل محل التباهي والحديث غير منقطع عنها إذ لعل

[1] الرواية: ص 196.

الكلام قليل ولا يمكن له أن يحصى ما تتمتع وتتصف به من خصال ومكارم لتكون على كل مسمع.

«السيدة تكره ما أنا عليه ولا يؤلمني منها أن لا تقربني لأنها تأبى أن تذكر بسوء بسببي، عطفها على عظيم، هي التي أرسلت من أقنعت حسونة بأن تأخذني معها فأكون حيث قدري» [1].

ما أجمل ما تحمله من محبة وعطف لكل من حولها، فمن شيمها أنها لا تميز ولا تفرق بين الناس سواءً لصفاتهم أو أعمالهم بل دائما تحاول الوقوف بجانبهم ونصحهم وإرشادهم نحو الأفضل، فهي تفعل خيرًا للجميع دون استثناء حتى ولو من بعيد فلا تنوي إلحاق أذى بأحد بالعكس تماماً فهي تشفق وتعطف على الخاطئين وتسعى دومًا لدفعهم نحو الصواب لتحسين أحوالهم وظروفهم وأنفسهم بما يزكيهم ويجعل منهم بذرة طيبة.

« لكأنّه قدر البتول، كذلك إحساسها، أن تكون هي بؤرة تلاقي الأثرين والتئام ظلي الروحين، فلولا وقارها لأفصحت لجوليتو باحيدة عن سرّ تلك الشعلة التي قبست في عينهما بلون النخيل والرمل وضحكة الماء للشمس[2]**»**.

[1] الرواية: ص 113.

[2] الرواية: ص 197.

فغالبا هي مصدر الخير والبركة أينما حلت وجد الخير والحب والنقاء، فهي تمثل تلك الروح العفيفة والطاهرة التي تلم النّاس على ما هو رضوان وسعادة وكريم، تعلم وتعطي دروس في الأخلاق وحفظ الأسرار والنفور عن كل الأساليب المؤذية للغير والتي قد تزعج أو تحط من قدر الآخر وتجعله محل السخرية والاستهزاء.

«وعلى تنازل درجة الانبهار بهالة سيدة استقبلتها بحركات وكلمات نبيلة» [1]

فالبتول تسعى أن تتعامل بكل لطف واحترام وتعطي لكل واحد مقدرا من التقدير والكرم وتكن المودة للجميع، ومن موضع آخر تظهر حكمة لبتول وقوة عقلها.

« فقد شهد من كل على قلعة السور أنهما قطعًا السبخة سيرًا، كان ذكر لها أرضهم المقلوبة هناك في التل، فسألته عن السكة التي حرثت سبخة تمنطيط، من غير أثر بادٍ لحافر أو عجلة، متذكرة سبخة وهران وسرابها» [2].

يتضح بجلاء دليل حكمة البتول وفطنتها وقوة ذاكرتها الرهيبة فهي على دراية تامة فيما يخص الأمور التراثية ومناطقها دليل قاطع على غزارة معارفها ومكتسباتها، فمجرد طرحها للسؤال ومحاولتها لمعرفة الجواب يفضي على شخصيتها ميزة حب الاطلاع وكشف الطلاسم والمكبوت وكل ما هو مبهم وغامض فهذه طبعا تندرج كسمة من سمات

[1] الرواية: ص 197.

[2] الرواية: ص 223.

الذكاء والعقل الجبار فهي تتوق لرصد المعارف والحقائق لتنعش ذاكرتها وتشبع فضولها وتغني ثقافتها لتمضي قدمًا في حياتها ولتسلك مسلك النخبة المثقفين.

« إن البتول هي التي فتحت له باب التجارة لتكفيه شر الناس، فأسرته بفضلها» [1].

إلى جانب ثقافتها الواسعة إنها أيضا تتمتع بالخبرة في عدة مجالات فهي معروفة بحسن تسيير للأمور التجارية وغيرها إذ يعود لها الفضل الكبير كونها فتحت باب الرزق لمن هو بحاجة إليه ووضعت أمامه الفرصة الثمينة ليحسن ظروفه وأحواله ويسعى جاهدًا ليكون نفسه، فهي بمبادرتها هذه تشجع على الروح العملية والاجتهاد لبلوغ الهدف الأرقى كي لا يكون الإنسان مدلولا ومحقورًا وضعيفًا يستهين به الناس ويجعلونه محل السخرية.

إن الإنسان المثابر العامل المتقن لعمله يعيش كريمًا مرفوعا لرأسه لما قد بغله جراء صراعه الدائم ليكسب كل شيء من عرق جبينه مهما كلفه الأمر حتى لا ينحني إطلاقا أو يشعر أنه شخص بلا جدوى ولا منفعة، فالعمل عبادة ومثابرة قيمة تجزي صاحبها بنعيم والمكانة المرموقة.

« لن يصيبك سوء يا مولاتي، هناك ظل يحميك، الخط يخبرني أن أمط تبتسم لك وتردك عن التقدم نحوها، واما أبوك فحزين لحزنك حزنًا لا يبديه، حياتك كلها تكونينها

[1] الرواية: ص 265.

امرأة مهيبة معشوقة، تحوزين الشرف، وفي المجد تنعمين، أشيري فقط ليرتهن بين يديك عسير ومنيع، من حسدك إفترست روحه الغيرة وامتص قلبه الدود، فاستريحي يا مولاتي بالعافية»[1].

المرأة القديسة العفيفة فهي صاحبة الحظّ، إذ هي مكسوة بثوب الحماية والعناية وطرد عيون كل من يتربص بها سوءًا وينوي إلحاق الأذى بها من قريب أو من بعيد، فجمالها الروحي الطاهر النقي لا يستحق أعداءً يلاحقونها ،فبالرغم من ذلك فثمة وحوش بشرية يائسة ومستاءة لا تتحمل رؤية وجوه الخير وأصحاب الخير متقدمين ومحظوظين ومحبوبين، فالسعادة والهناء تعم حياتهم لذا فحسدهم وحقدهم يدفع بهم لاقتناء أسوء أساليب الشر وأبشع المكائد للإيقاع بالشخص الذي لطالما يشتهون بلوغ ما وصل إليه أو يتسنى لهم بأن يحلوا مكانه ولو للحظة قصيرة، ولكن هناك حقيقة واحدة أن النعيم له أصحابه فما من جاهل بلغ العلاّ من جهلة وفشله ويأسه.

« **ابشري يا مولاتي، هذا حظ الفرح، ستتكونين بالدوام سعيدة، لا يلقاك غير التبجيل، يكثر الغابطون والحاسدون، وتتمزق نساء ونساء غيرة من زهرك المنور، وفي ذكر الناس جميعًا تخلدين للجود»**[2].

[1] الرواية: ص 268.

[2] الرواية: ص 268.

إنها السيدة المحظوظة والمثالية والتي احتلت قلوب معجبيها وحظيت بمحبتهم وتقديرهم لها، فلا يرون امرأة تماثلها، فهي الوحيدة التي تستحق التمجيد والتبجيل وأن يتغنى بها الكل، لكرمها وجودها، فبكل هذا التقديس فقد تركت في النفوس انطباعا بارزًا ومذهلا وبلغت القمم وبات اسمها يحلق عاليًا ويفتتن به المحبين من جهة ويزيد كل عين حاسدة وباغضة الألم والحسرة الشديدة والإحساس بالضيق والمأساة لما في قلوبهم من مرض.

« **أحسن قلبه يشرق بنور جمالك ويتجذل عقله ببهاء طلعتك، ما أسعده بك انت يا مولاتي مظلومة بعناية لا يحي بها إلا من كان له سر، سأظل خادمتك وأغفري لي إن أسأت إلى بذرة من رفعتك، أنا عبدتك المطيعة أكون لك ممتنة**» [1].

أن محبيها يتمنون لها الخير وكل ما هو أفضل في حياتها وهذا راجع إلى حسن معاملتها لهم ونواياها الحسنة وأقوالها التي كلها نصح وإرشاد وخير، فترجح بهم الوئام والجود والعطاء، فكل ما زرعته تحصده لنفسها، لأن تعلق محبيها بها يجعلهم أشد قربًا منها ويكونون بجانبها في أحسن حال وأحوال، ويخشون مفارقتها والبعد عنها لأن ذلك سيخلف لهم الألم والمعاناة فلا جوّار أصدق لهم وأريح من دونها. فعن وقارها قالو:

[1] الرواية: ص 268.

«حاشا امرأة محبة وهبتها العناية الإلهية سطوة على القلوب والعقول بما ملكت من الفتنة والوقار»[1].

أصبح جمالها الروحي ومبادئها الأصيلة كل ما يتداوله الناس على لسانهم، فليس هناك ما يستحق الكفء والتقدير إلا هي، فهي تمكنت ونجحت في زعزعة الكيان ونبضت روح الإحساس في شتى القلوب التي تناست طعم الحياة وروعتها. «**امرأة مشمولة بالعز، محفوفة بالسر، محاطة بالعناية**» [2].

أو ليست أهلا للذكر والتعظيم والافتخار لما تتصف به، إذ هي بالحق جديرة بأن تتميز ويكون لها شأنها الخاص إذ تجتمع فيها كل المحامد التي يجب على الإنسان إذ يتمتع بها وإذ حدث وأن وجدت في أحدهم كالبتول فهي في نعيم وعيشة راضية كونها معززة ومكرمة تسبح في خواطر النّاس كطيف نسيم يعم فيه الجمال والراحة والطمأنينة.

ولعل اسم البتول لم يختره الكاتب عبثا، فهو يحمل من دلالات القدسية الكثير، إذ لا يكنى به إلا أصحاب الطهارة والعفاف ،فهو يرتبط في الفكر المسيحي بمريم العذراء المرأة القديسة العفيفة التي تكنى بالبتول، فمريم بنت عمران اصطفاها الله عز وجل وميزها على سائر النساء لطهارتها وجعلها رمزًا للقداسة وفي الثقافة الإسلامية نجد طهارة وقداسة فاطمة الزهراء ابنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي تكنى بالبتول أيضا، فهي

[1] الرواية: ص 295.

[2] الرواية: ص 285.

من أكثر الرموز قداسة في العالم الإسلامي، وكلاهما –مريم وفاطمة الزهراء–تمثلان نموذجان في الطهارة والنقاء والقداسة في العالمين الإسلامي والمسيحي.

تتميز البتول بالأخلاق والقيم الكريمة من خلال الرواية، فهي الإنسانة الخلوقة والأخلاق من أنبل وأعظم ما يتمتع به الفرد، لأن الشخص الخلوق هو صاحب السلوك الحميد الذي يكون قدوة حسنة للجميع فإذا صلحت الأخلاق والمبادئ صلحت الأعمال وسائر الأمور الأخرى المتعلقة بذلك الشخص، والبتول صاحبة الأخلاق النبيلة والعالية أخذت مشعل التقديس والقدوة الحسنة لكونها صلاح وخير في جمال جسدها وجمال روحها ونعم الطيب.

المبحث الثاني: الأنثى المركز/ نجمة المدنسة.

أولا–الجسد المدنس.

تمثل نجمة السيدة التي تتمتع بجمالها الساحر وجسدها الفاتن المغري الذي يثير الرجال كما يثير غيرة النساء وتستفزهن بتصرفاتها وحركاتها التي تستعرض فيها فتنة جسدها الذي يوقظ نار الشهوة والهيجان، فنجمة تزخر بكل ما يمكن للمرأة أن تملكه من جمال ومال وجاه لتفتن الرجال وتستدرجهم إليها وتثير كذلك حقد النساء وحسدهن لما تتمتع به من متاع ورفاهية.

« وتساءلت النساء كما الرجال، كيف لا ينفلت من قبضة نجمة إلا قليل، فقيل ذلك من شهوانيتها المضطرمة ومن مالها الوافر ومن جمالها، لا يفتن بقدر ما يخيف» [1].

وفي موضع آخر من الرواية تظهر أساليب نجمة ونواياها، نجمة المرأة الشهوانية التي تنجر وراء غرائزها الجنسية وتمارس بجسدها المشتهى حركات وطقوس تفتن بها الرجال وتشعل فيهم الرغبة، فرغم مالها الوافر وجمالها البراق الساحر إلا وتبقى فتنة يخشاها الرجال كونها خطرا حقيقيا، فمن وقع في شراكها ألقى بنفسه في الوحل والمصائب ولا يسلم أحد من شرها وسوءها فهي النار التي تحرق كل من دنا منها.

« غير أن النساء لم تنكرن جميعًا أن نجمة فاقتهن زينة وتجميلا فكحلت عينيها، ووردت خديها وزهرت شفتيها وسوكت لثتيها، حتى بدا عليها ذلك كله من طبيعة فيها، وجلا قوامها بجاذبية العفاريت كلما خرجت بين ساعة وأخرى بلباس، لا يبدوا أنيقًا إلا على جسدها الرقيق العامر، لذلك أرهقت النساء الحاضرات ببراعة التفصيل فتمنين أن تكون ألبستهن كما هي عليها راقصة منطربة بكل مفصل من جسدها مظهرة إياه فتنة وسحرًا» [2].

نجمة الأنثى الأكثر رشاقة وجمالاً والتي سحرت الجميع بزينها الفائق والمذهل، حتى النساء اللواتي لم يفلتن من سرّ لانجذاب نحوها والتأثر بها، فحذاقتها جعلت منها

[1] الرواية: ص 64.

[2] الرواية: ص 63.

أكثر دراية للأوقات المناسبة التي تتمكن من استغلال الفرص لتبدو في أجمل صورة ولتحرك شغف وهواجس الرجال ليفتتنوا بها ويفقدوا السيطرة على مشاعرهم وينجرون وراءها بالأعداد الهائلة حتى يتسنى لها أن تختار وتلاعبهم على أصابعها كما يحلو لها وتفتخر بنفسها لأنها محل إعجاب ومصدر إثارة الشهوة والرغبة، ولتقضي رغباتها التي ليس لها حدود من كثرتها وتنوعها، فهي تنجذب وترغب دائمًا بالجنس الذكوري في أعماقها وخواطرها.

« وكانت نجمة لما قامت للرقص أربكتهن جميعًا، فشعرت كل واحدة، تجرأت على مناوئتها، بالخور في ركبتيها وبالرهل في مفاصلها وبإنطفاء جمرات الشهوة الباعثة في المرأة تلك الحركات، التي هي ما حوته اللغة في نداءات الغرام ولوعة العشق وهيجان الجسد لشهوة الجماع »[1].

إن حركاتها وموهبتها في الرقص هي التي سيطرت على الجميع إذ كانت تتزين وتتودد وتقترب لتجعل الأمر أكثر إثارة وولوعًا، فلها خبرة وأساليب رهيبة في السيطرة على الرجال وإضعافهم بالخضوع لها واستسلامهم لرغباتها والانقياد لتنفيذ كل رغباتها ومتطلباتها فليس بيدهم حيلة للفرار وتجاوز هذه الفتنة التي تقهر الكيان وتذبذب العقول من غير سابق إنذار.

[1] الرواية: ص 63.

« فإن هيبة نجمة الخالبة لم تكن وحدها أخرست النساء خلال الرقص، فأرتهن كيف تلعب امرأة مثلها برأس رجل بين فخديها مثلهما تلعب عاصفة بمركب وتبرك الزوبعة بعيرًا، فكذلك رأتها كل واحد تدري أسرار الفراش وتتخيل صوره في الرقص، ولكنها هيبتها آتية من مالها تبدله بما لا تستطيعه أي امرأة غيرها تحضر حفلة أو عرسًا أو تقصيرة، فإن كل رقصة عند نجمة بثمن »[1].

لا تغدو أساليب نجمة الاحترافية في كيفية رقصها وإبراز مفاتنها ومحاسنها الشيء الوحيد، إنما أيضا هناك الدعم المالي الذي تستند إليه فهي تنعم برفاهية مطلقة من خلاله فالأموال التي تعد من الأسس الحياتية المهمة جدًا إذ تمنح لصاحبها الجاه والمكانة المرموقة في المجتمع وتفتح له الأفاق والأبواب أمام كل الأمور وتسهل عليه الحياة، إذ تقيه من المشقة في البحث عن الرزق والنضال لأجله واكتساب الثروة، مما زاد الطين بلة إذ رقى وسمى بها ومنحها الشهرة والتباهي فلهذا كانت محل الانتباه والشغف فالمال يمنح لصاحبه الهيبة ويرفعه درجات العلا كذلك سهولة تحقيق الطموح والمبتغى بشكل بسيط وسريع.

[1] الرواية: ص 63.

وبالرغم من امتلاكها للمال إلاّ أنّها مهووسة به وذلك فإنها لا تقوم بأمر إلا ومقابله المكسب المالي.

«فتشبت بنجمة، وبينما كان هو يعبر بحرًا من لهب بارد، شعرها غابة شاطئه، نشبت أظافرها في ظهره، وخدشت حد خاصره، وصرخت، ثم هدأت رادة يديها حتى كتفيه مضمختين بلزوجة الدم، فحنأ إبهامه من طمثها، ومرر به على شفتيها ،كما دهنت هي بوسطاها وسبابتها شفتيه »[1].

إن طقوسها التي تمارسها في الفراش جعلتها تتحكم في الرجال وترهبهم وتدفع بهم للاحتراق في نار العشق والرغبة، وتسحر العقول وتسلب القلوب وتسيطر على نفوس العامة وتحصل على كل ما تريده إذ تصل إلى مبتغاها برمشة عين منها أو حركة إصبع منها. فلا يصعب عليها شيء ولا يستغرق معها الإيقاع برجل وقتا طويلا بل مهلة وجيزة وتفقده صوابه ويرتعش ليكون معها وبالقرب منها ليتلذذ ويستمتع بمفاتنها وبالتالي تنطفئ نار الرغبة ويسترخي العاشق الولهان.

قيل: «**أن نجمة تعلق قرطا ذهبيا في شفير فرجها الأيمن تشعل نار الشهوة، وتسعر به في الجماع، مثل بظرها الطويل، همة من يواطئها فلا يقاوم لها أعتى الرجال**

[1] الرواية: ص 54.

إرجاء في الانتعاظ، فيقذفون وينقذفون منحدرين، فتبتسم ساخرة في المرة القادمة سأنزعه لنتلذذ سويًا »[1].

لم تترك نجمة أسلوب ترغيب وجذب إلا ومارسته، ولا حركة محرجة إلا وقامت بها لتشد إليها الرجل وتفقده السيطرة في التحكم بالأمور، فهي لا تترك له المجال كي يرفض أو ينفر منها بل تسعى جاهدة ليسير كل شيء على حسب رغبتها وعلى ما يرام، فهي تهيئ خططا جهنمية لتعيش اللحظات في خلوتها وتكون أرضًا خصبة تصلح لمرضاة الرجل وإقناعه ومن ثم إشباعه، إنها تبذل كل ما بوسعها لتكون محل الإثارة ولذتها واستمتاعها يكتملان حين تشعر أنّها المميزة والمرغوبة من طرف الجميع فترجح دائما أن تكون السحر المذهل والمرأة التي لا يمكن مقاومة جمالها ،وفي موضع آخر يذكر الكاتب أساليبها في الإغراء «**كانت نجمة من المبطنات اللائي يمازج شهوتهن صقيع من شتاء الصحراء، فلم تفك ذلك القرط إلا ثلاث مرات: الأولى ليلة دخلتها، ثم ركبته لتنهك به زوجها الثاني الذي هجرها إلى قارة والثانية يوم عرفت التاجر فلقيته في فراشها والثالثة ليلة أن دعته بعد أن أرسلت إليه من أخبره أنها تقبل التارقية غريمة لها فيه »**[2].

نجمة السيدة الذكية والتي تعرف جيدًا كيف تتعامل مع المواقف وتواجه الأمور على طريقتها، فكل أمر تحيك له بدقة، فهي فنانة وتبدع جراء بلوغ أهدافها المرسومة

[1] الرواية: ص 55.

[2] الرواية: ص 56.

فأساليبها في الاستدراج والتهويل لا تستغني عنها إذ تمثل الطعم في اصطيادها للفريسة وترى في جسدها الفاتن الطعم المثالي الذي يفي بالغرض ولا يصيب من عدم إنّما يجدي بالنفع وعندها فقط تسير كل الأمور حسب مخططاتها وتوقعاتها.

«كانت تضحك أو تبدي سرورًا أو سعادة أو تطلق شعرها أو ترمي منه المشاقة التي تعلق مشطها حين تسرحه ولا تحتفظ بها إلى يوم اللوح أو كانت تتحمم أكثر من مرة خلال سبعة أيام أو تتزين وتتكحل أو تطلي الحناء أو تطل من باب القوس أو تخرج إلى الزقاق في العشية أو إن كانت تبيت ليلة خارج بيتها أو تضع أي صيغة من ذهبها في أي من مفاصلها وفي أذنيها أو رقبتها، وكن لا يعلمن أمر القرط بين فخذيها، أو إن كانت تجتذب حديثًا مع زائراتها عن أمور الرجال والنكاح والسحاق»[1].

نجمة لا تتهاون إطلاقا في إطلالتها والاهتمام بمظهرها فهي تسهر على أن تكون في أبهى صورة وأحلاها، فكل ما يهمها في الحياة الاعتناء بنفسها فتتزين وتلبس كل ما يحلّيها ويجعل منها ملكة مميزة تتحدث عنها كل الأفواه وتتعجب لأمرها وحالتها التي تعيش عليها رغم أي بلاء أو مصيبة تحل عليها ،كوفاة زوجها على سبيل المثال إلا أن هذا لا ينهك قواها أو يجعل منها عاجزة أو تتغير فيها مبادئها وأساليبها التي تحيا بها، إذ تظل صامدة وقوية وتواجه كل ما يلاحقها من سوء، وهذا تحديدا ما منح لها السلطة

[1] الرواية: ص 57.

والمركز في المجتمع الصحراوي ،فهي التي تسعى وترغب وتحقق أهدافها بالرغم من أنها تقهر وتشتت وتذل وتعذب من حولها.

تتضمن رواية تلك المحبة جملة من المفارقات حيث رصدت الجسد على المستويين المقدس والمدنس، وعن الجسد المدنس نقف عند جسد نجمة السيدة التي حظيت بمركز في المجتمع الصحراوي واستطاعت أن تضع جسدها في صورة انتهاك للمبادئ والأخلاق وسخرته للشهوات والنزوات الجنسية بأسواء وأبشع الأساليب والتصرفات المشينة، المكروهة والمرفوضة التي لا يتقبلها العقل، فولعها الزائد ورغباتها أودتيا بها إلى المذموم رغم حسنها وجمال جسدها الذي يعد وسيلة وسبيلاً لبلوغ الرذائل.

ثانيا-الروح المدنسة

المستوى الدنيء الذي نزلت إليه نجمة من خلال سلوكاتها وألاعيبها المغرية وكل ما كانت تقترفه لتجعل من نفسها محل الإثارة والرغبة إنما هو ناجم من روحه المدنسة بسوء أخلاقها وبشاعة تفكيرها وتصرفاتها، فهي تلفظ بكل ما هو مشين ومرعب وغير أخلاقي، يقول "سلو " المخنث عن السيدة المتعجرفة التي يملأ قلبها الحسد وحب الامتلاك والسيطرة على كل شيء « **نجمة عشقت رجلا تاجرًا من التل ثم قتلته يوم علمت أنه خانها مع تارقية نبيلة من أجمل ما أبدعت شمس الهقار**» [1]، فهي حين

[1] الرواية: ص 55.

عشقت وأحبت رجلاً تاجرًا لماله ومنصبه الذي يغنيها ويقدم لها النعيم والرفاهية والغنى، انتقمت منه أشد انتقام حين سمعت بخيانته لها مع امرأة ترقية، فأخذت بثأرها منه كونه أقدم على خيانتها وفضل امرأة أخرى عليها، وهو ما أشعل فيها نار الكره وأقدمت على قتله دون أن يرف لها جفن أو يتحرك فيها ضمير حتى وهذا يثبت أنها لا تحمل أية ذرة إنسانية تقيها من شر أفعالها أو تهدئ من روعها لتفادي الوقوع في الخطايا الكبرى. وفي موضع آخر من الرواية تتضح جرائم نجمة المشينة:

« كانت نجمة سألت بنت هندل عسبة الفلزلز، فردت عليها بأنها تخاف أن تهلك شخصا بلا ذنب فأقسمت لها بسيدنا موسى أنها تبغي بها معالجة ورم إحدى إبلها، على أن بنت هندل كانت أخبرت البتول أمر الفلزلز، الذي حسبه التاجر سلقًا خضر له بزيت الزيتون والثوم واللحم المفروم، وكانت امرأة في حفل خطبة إحدى حفيدات بنت كلو قالت:« ثم إن نجمة هيأت للتاجر كتانة شمختها بالسم ومسحت له بها ذكره بعدما واقعها في تلك الليلة الأخيرة التي لم يصبح بعدها »[1].

حيل نجمة المقرفة ومكائدها المستمرة وشرها الذي لم يسلم منه كل شخص يقترب منها أو يخطأ معها فهو يدفع الثمن غاليا ويكلفه ذلك حياته لو أخطأ في حقها، فخبثها واحترافيتها في الأكاذيب وخداع الناس بكلامها ووعودها الزائفة وقسمها الحنث جعلها امرأة

[1] الرواية: ص 56.

تنعدم فيها الأخلاق والمبادئ والضمير فلا تعرف معنى الحب ولا معنى الدين ولا معنى الإنسانية، فقلبها يدق وينبض من أجل الانتقام وإيذاء كل من تجده أمامها دون حولة ولا قوة منها، فمركزيتها بالتحديد في هذا النص الروائي تتمثل في نواياها الشريرة وتعلقها بالمشاكل وتلذذها بتعذيب الناس وإلحاق الضرّر بهم خاصة عشاقها:

« كان عشاق نجمة الخائبون في مساعيهم نحو قلبها، راسلوها بالقوادات والقوادين، ووهبوا الهدايا تقدمة لامتنان يحظون به منها، وإذا تغمد هذا وذاك كثير من اليأس، راح مثل النساء يلتقط أخبارها ة ويلوكها كما ينقر طائر دودة استخرجها من تربة قرب ماجن، فلم يزد ذلك إلا إصرارًا على إضرام مزيد من السعير في صدور النساء فقد مسدت براحتيها على وجنتيها أمام مرآتها وتنهدت« **بقيت لي أنت يا إسماعيل، أما البتول أما البتول آه يا البتول»**[1].

ولسوء حظ نجمة ولشرها لم تحظ برجل صالح يحبها ويعرف قيمتها، إنّما لا يقترب منها إلا أسوء الرجال وأحقرهم، فجل عشاقها خبثاء ومنبوذين، إنها الأنثى المدنسة روحا وجسدا لا تتوقف عن مساعيها في تدمير غيرها وإلحاق السوء بهم، وكان سعادتها وراحتها تكمن في بطشها بالأخر وأذيته.

[1] الرواية: ص 57.

« يعجبني الرجل الأنوف لا يأكل إلا في إناءه، وكذلك مع العشيقة، لا يقاسم غيره فيها كنت دائما لواحد أو إثنين فكيف تظل البتول أرضًا واحدة لسكة واحدة؟ هذا يشقيني يا ربي، من أين لي عنايتها لأعشق رجلاً لا تتهرشم لهم أحوف أمامـــي؟ هل يرضى بي إسماعيل؟» [1].

إن غضب نجمة واستيائها من زهر البتول وحب إسماعيل لها والأخص وفائهما لبعضهما هو الأمر الذي أثار الحقد فيها ودفع بها كي تكيد لها مثل عادتها لتفوز بقلب إسماعيل، فقلبها الأسود لا يحتمل رؤية الناس سعداء ،فهي على علم ويقين أنها لم يقدر لها بأن تكون مع رجل واحد ، بل لطالما كانت ككرة يتلاعب بها الرجال واحدًا تلوى الآخر، لأن فطرتها وأصلها لا تستطيع أن تكتفي برجل واحد إنما تلاحق الجميع وتسعى وراءهم، لهذا السبب حيرتها البتول التي في اقتنعت واكتفت بحبيب واحد وهو إسماعيل الدرويش، إذ هي بعيدة أشد البعد أن تفهم هذا الوفاء والإخلاص لأن ذلك ليس من شيمها، لأنها أبعد الأرواح عن فهم معنى المحبة والوفاء.

إن سمعة نجمة سيئة ومواقفها خائبة، فغالبا ما تحكم على الأشياء بتعجرف، ولا تفلت أي فرصة صغيرة لتبدي شرها وتنتقم، لهذا السبب كان الجميع ينفر منها ويهبها

[1] الرواية: ص 57.

كونها تعاقب وتجعل كل من أخطأ معها يدفع الثمن غاليًا، فإذا وضعت أحدهم صوب عينيها لن ينجو منها إطلاقا، ويتضح ذلك في مقطع من الرواية.

«**ولما خافت عليها من عقاب نجمة زعمت أن التاجر التلي، هو الذي أخبرها ذلك السر**»[1]. فبطشها ومحاسبتها ونيلها من الآخرين بأبشع الطرق، جعلت الكل يخشاها ويرأف على حاله، كي لا يقعون في شراكها لأنها لن ترحمهم ولن يسلموا منها، وتتضح تصرفات ونوايا نجمة في كل مقطع من الرواية، إذ نجدها «**فقد تنشفت نجمة، وأخرجت أبهى ما أهداها زوجها التاجر من ألبسة تلمسان، وراحت تجرب هذا وذلك لتظهر به في احتفالها باللوح، ثم استقبلت حبيباتها من الهجالات**»[2].

كما تعتبر نجمة راقصة محترفة، لما يصدر منها من حركات وأساليب ملفتة، ومغرية فلا وجود لامرأة تماثلها أو تستطيع أن تحرك جسدها مثلها، فحركاتها تبدي مفاتن جسدها في حيوية ونشاط وجمال، وأكثر شبابية ما يزيد نارّ الشهوة والرغبة أكثر في النفوس، فهي تتقن جيدا فنون الاستعراض والإغراء، وموهبتها خارقة، ولم تكن من نصيب أخرى رغم أنهن سعين للتعلم منها إلا أنهن لم يفلحن في ذلك، فالأمر بالنسبة لهن صعب المنال.

[1] الرواية: ص60.

[2] الرواية: ص 61.

إن ذكاء نجمة وفطنتها يدفعان بها إلى التألق، واحتلال المكانة الرفيعة فيما يخص الرقص وذلك لأن حركاتها الرقصية تعد بمثابة جسر بينها وبين رغباتها الجنسية وهوسها بالرجل، ففي الرقص تكمن فرصتها ومصلحتها لتمارس سلوكاتها غير الأخلاقية، وتسخّر جسدها لجذب الرجال المفتونين بها لدرجة الجنون.

تمكنت نجمة بجسدها وخبثها من القيام بدور فعال في المجتمع الصحراوي، وتحتل المركز ، وقد حظيت باهتمام الأغلبية من النّاس إذ كانت محل الانتباه والذكر، فهي المرأة التي تسخّر جسدها للملذات والشهوات الجنسية، وهي سبيل كل رجل ومتاعه، فصفاتها المشينة هي من غلبت على أفعالها المذمومة، إذ تجتمع فيها كل الرذائل التي لا يمكن للمرء تصورها، فهي بمثابة شيء مادي، ينعدم فيها الجانب الروحي، فلا ضمير يعاتبها لتشعر بالندم، والكف في إلحاق الأذى بالآخرين، فشرها وصل لاقتراف جرائم وقتل أرواح بشرية وبدم بارد، فهي امرأة تتمتع بالقوة والشراسة والهيبة والسلطة وهو ما أدى إلى احتلالها درجة الرفعة والمكانة في المجتمع الصحراوي.

المبحث الثالث: الأنثى/ الخنثى الهامش

أولا: هامشية الأنثى المفعول بها.

اضطرب المعيار الاجتماعي في تقييم المرأة وتحديد منزلتها الاجتماعية، في العصور القديمة أو الحديثة، فلم يستقر لها حال، ولطالمَا اعتبرت مخلوقًا قاصرًا، منحطًا،

كما اعتبرت شيطانًا يسوّل الخطيئة ويوحي بالشر، ففي أغلب العصور عانت المرأة من الشقاء والهوان، فهي مهدورة الحق يسخرها الرجل لأغراضه كيفما يشاء، يقرر في شؤونها ومصيرها ويفرض عليها القيود والسيطرة ، وهذا ما جسده الروائي الحبيب السائح في روايته، إذ عرض صورا لبعض النماذج النسوية المقهورة والمهمشة كالعرافة حسونة المغنية، وبنت كلو، وأخص بالذكر شخصية مبروكة الأكثر بروزا في الرواية.

تمثل مبروكة في الرواية نموذج المرأة المثقفة، المفعول بها والتي قهرها المجتمع بسيطرته، فهي تعيش قصة جب مع رجل دين مسيحي، لتعارض العادات والتقاليد طريقها «**كانت مبروكة انحسرت بجبريل منذ رأته، من خلف حجاب، رفقة أمها عند البتول لما جاءها يقدم لها إمتنانه بما أرسلته للدير من صدقات، غداة إستخلافه الأب يعقوب، فبدا لها رجلاً في كامل النضج والوسامة**» [1].

أغرمت مبروكة بجبريل منذ اللحظة الأولى التي رأته فيه، دون أن تتحدث معه أو يمنح لها فرصة للتعرف عليها، كأنه حب من أوّل نظرة، من هنا بدأت قصة حبها وتتضح في مقاطع أخرى من الرواية «**قالت إن خصاله تكاد تكون من تلك التي لشيوخ فاضلين، لا يقع نظر أحد عليه إلا اطمأن إليه، لما فيه من الشيء السحري لجذاب،**

[1] الرواية: ص 147.

فتلهفت لمعرفته، وتحرقت للقياه، وتمنت أن تقف أمامه تتوسمه، وتنظر في عينيه، اللتين قيل عنهما من لون سماء الفجر الصافية، كيما يراها أنها أدركت أنوثتها»[1].

حب مبروكة لجبريل لم يقف فقط عند وسامته وجماله الخارجي، فقد أذهلها جانبه الروحي والأخلاقي وتعلقت به بشدة، إذ باتت تتغنى بشيمه النبيلة وأخلاقه الحميدة، فشوقها له مرتبط بروحها وبات ضرورة فيها ليس باستطاعتها مقاومته ولا تجاوزه، فشغفها بجبريل كبير ولا تتحمل مقاومته وهو ما أوقعها في الخطيئة معه.

«ولم تثنها عن جبريل أحاديث أولئك اللاتي قلن عنه كافر بتستر بتلك الخصال ليرد الفقراء إلى دينه، بما يطعمهم ويسعفهم، وبما برسمه بأعماله الخيرية في يوميات نيمي القديمة، وظلت تسمع أخريات لا ينين يذكرن قواما له يشبه الغزال، ولسانًا رقيقا يفيض سلاما، وملامح وسيمة تشعر بالأمان»[2].

اقتنعت تمامًا مبروكة بما يملي عليها قلبها من مزايا جبريل وخصاله، حتى عقلها سطر كل هذا الإعجاب والانجذاب، كون جبريل رجل صالح وقدوة حسنة، لذلك نجد عقلها لا يستقبل أي رسالة سوء في حق جبريل ولا يستوعب إطلاقًا ما يمس به بسوء فهي تنفر من كل شخص يحاول تشويه صورة حبيبها أو يتحدث عنه بطريقة مشينة، وعلى العكس فهي تتودد وتنصت بتمعن لمعجبيه، والذين يقرون بحقيقة أنه ملاك على الأرض

[1] الرواية: ص 148.

[2] الرواية: ص 148.

لأخلاقه العالية، فتصاحب مبروكة كل من يؤيدها في حكمها ونظرتها لجبريل بينما تبتعد عن كل شخص ينوي سوءًا بجبريل ولو بكلمة.

« فعاندت على أن تعرفه وتسمعه وتراه وتلمسه وتختبره، وقبلت، ليل نهار، كيف تغويه فيبتسم لها وبأنامله يداعبها وبشفتيه يعسل ريقها، وباتت ما دخلت فراش نومها إلا أحست صهدًا اجتاح جسدها، فأغمضت على شعور بأن جبريل لامسها، فأشع في ذهنها وجهه، وتمثل لها قرص شمس يشرق من أفق أحلامها»[1].

انتبه جبريل إلى أمر اهتمام مبروكة به، ويظهر ذلك بجلاء في هذا المقطع الروائي «**لابد أن يكون جبريل نبش عن أصل مبروكة، فظن الشعاع الذي أمالها إليه هو ميلها إلى الدير، ثم اتضح له أنها فتة ليست كالفتيات الخاضعات المستسلمات، اللائي يقهرن العوز، فإنه وجدها أنثى على عنفوان يكسح أي وصايا في مهبط الحرارة الأول، حيث الشيطان نفسه ينثني بحثًا عن ظل امرأة اتقاء للجنون**»[2].

أدرك جبريل أنه بثير انتباه مبروكة وتحمس لهذا الأمر إذ سعى وراء سرّ هذه المرأة المفتونة والمغرومة به وتحرى عنها وعن أصلها، وكل ما يخصها فتوصل إلى عكس ما كان ينويه بها مسبقًا فهي لا تهتم لأمور القدسين، وكل ما يتعلق بالكهان ورجال الدين إنما هي شابة في مقتبل العمر يملأها النشاط والحيوية والحب والجمال، مبتغاها الوحيد

[1] الرواية: ص 148.

[2] الرواية: ص 150.

أن تكون بجانب جبريل لتحبه وتصبح ملكًا له. فغايتها المرجوة منه أن يبادلها مشاعر الغرام وأن يكونا ثنائيًا رائعًا تملأ قلوبهم بالشغف والعشق المتبادل.

أراد جبريل أن يضع مبروكة في الصورة كي تفهم جيدًا نوع علاقتهما إذ خاطبها قائلاً أنه لا يوجد شخص مميز بحياته، فمشاعره ليست سوى مقدار من الحب العفيف والكرم والعطاء لجميع البشر دون استثناء. لكن إصرار مبروكة على رأيها فيه وإلحاحها الشديد بأن يبادلها المشاعر الخاصة لا يغدو منها مجرد مزاح إنما حقيقة مقتنعة بها غير مبالية لصد جبريل لها « **فاقتربت منه حتى لامست ساقها ساقه نعم جئت لأرض هل أنا أعجب .. تنهد شبك يديه ساكنا ثم فكهما وشد على يدها .. مبروكة الآن فقط أدرك ما ذكره لي عنك أستاذك قبل أن يغادر، فهزته من يده، تستحثه، وماذا قال لك عني! فتح ذراعيه بقدر ما يستطيع احتواءها: ذكية جدًا، وعنيدة جدًا، ومشاكسة**»[1].

شرعت مبروكة في مراوغاتها لكسب جبريل والحصول عليه بأي ثمن، فلم تترك أمرا لم تفعله فتوددها إليه باستمرار جعلت جبريل يدرك حقيقة ما أخبره وأوصاه به أستاذ مبروكة وذلك عن تعجرفها وإصرارها الدائم لبلوغ مبتغاها بغض النظر عن المخاطر والحواجز، فهي لا تهتم لكل هذه العوائق إنما ترسم طريقًا لبلوغ هدفها وفق منظورها الخاص، أما رأي الآخرين وأحوالهم فذاك آخر شيء تهتم به، لا تعير أي انتباه لموقف

[1] الرواية: ص 154.

جبريل منها بالرفض، أو خوفها من الوقوع في الخطيئة إذا عزمت على الوصول إلى شيء، فلا أحد يقف في طريقها.

إصرار مبروكة الذي ليس له حدود وملاحقتها لجبريل، جعلته يضعف ويستسلم، فقد إفتن بجمالها ورشاقتها وشبابها الذي لم يتمكن من غض بصره عنه، هو أيضا اقتنع بأنها امرأة جميلة، وتحمل أبهى الصفات وبالتالي فهي محل الإثارة والإغراء، وتجذب أي شخص بسحرها المميز، إذ حدث واستسلم جبريل لمبروكة تاركا مبادئه وقيمه على جنب وبالتالي تحققت أمنية مبروكة ورغباتها ، فقد خاضت في تحدي كبير وواجهت الكثير لتبلغ مرادها وتحصل على اهتمام حبيبها ويحدث بينهما تغزل ورغبة تنشأ من خلالها قصة حبهما وتشيع « **بعد أيام، كانت الألسنة اندلقت بخبر مبروكة وتشبعت به الآذان، فمرة كان جبريل اتبع آثار من سبقوه من المندسين، ومرة، أخرى أعلن ردته عن دينه وهو في طريقه إلى أحد الشيوخ ليقول الشهادة، وثالثة، قرر الرحيل لأن الكنيسة عاقبته على ما بلغها عنه من علاقة مشبوهة يقيمها مع المحمديين**»[1].

فرحت مبروكة لما تعيشه من لحظات جميلة مع جبريل، لكن قصتها أصبحت على المحك، وهذا نتيجة معرفة الناس بعلاقتها وذيوع الخبر في كل مكان، وهذا ما وضع جبريل في وضعية محرجة، إذ صار رمزًا للخطيئة والدناءة، فمهمته كقسيس وديانته

[1] الرواية: ص 157.

تتنافى هذا النوع من العلاقات غير الشرعية، حتى فيما يخص مسألة العادات والتقاليد فهذا أمر مخالف للعادة فديانة مبروكة ليست لها علاقة بديانة جبريل ولا تربطهما صلة لا من قريب ولا من بعيد فيما يخص الديانة فهذا أمر كافي بقطع حبل علاقتهما.

قوة مشاعر مبروكة وولعها بجبريل أمر غير منقضي بالنسبة لها، فلا تود أن تصبح لحظاتها الجميلة التي عاشتها مجرد ذكريات فاتت ومضت، فقد كانت امرأة مثيرة ومرغوبة من كل الرجال، إلا أنها تجتنب دومًا مثل هذه النزوات العابرة «**كانت لدباري أحد الذين فتنوا بمبروكة وهي لا تزال، بعد الابتدائية تلميذة في المتوسطة، لا كبقية التلميذات، ذلك، لقامتها الفاتنة وشخصيتها الباهرة، وتخوض الطريق من بينهم غير البعيد عن بيت لدباري وحدها غالبًا، موقعة خطواتها مثل عسكرية شامخة الرأس لا تكلم أحدًا، فإن ألقت السلام أوردت عليه تبسمت دون أن تفتح على أسنانها أو ترفع صوتها أو تبدي تلينًا**»[1].

لطالما عرفت مبروكة بعفتها وخصالها العالية منذ بزوغها وهي صغيرة تحسن التصرف وتجتنب كل ما قد يوقعها في المتاعب والأغلاط، بغض النظر عن جمالها وروعة مظهرها الذي يفتن به كل شخص إلا أن هذا لم يكلفها أن تفتخر وتبدي مفاتنها، أو تستعمل الفرص لتجتمع بأي رجل تصادفه، فمبادئها وقيمها أرفع شأنًا وأسبق الأمور

[1] الرواية: ص 159.

التي تحتل الصدارة في حياتها إلى حين تعرفها على جبريل الذي كنت له المحبة وغمرته بالاهتمام.

« فكثيرا من جيرانها المراهقين والبالغين، حاولوا الاقتراب منها، غير أنهم ما لبثوا أن انسحبوا أمام إصرارها على أن تسبقهم في كل شيء. فلنصحها كانوا يحسون أنفسهم كأطفال أمام امرأة، إن تجرأ أحدهم، فعاكسها أو تحرش بها، ردت عليه بنظرة ساخرة، أو صمتت عنه بكبرياء »[1].

عفة مبروكة وسمعتها يعلم بها كل من يقربها سواءً عائلتها أو أشخاص تقطن وإياهم في نفس الحي امرأة تعي كل ما تقوم به فكل خطوة منها بحساب فلا تلقي بنفسها في الوحل، ولا الأخطاء البشعة إنما تحصن نفسها بنفسها من خلال سلوكها المتحضر ومزاياها الإنسانية، فكانت لا تسمح لأي رجل أن يتعامل معها بل لا تمنح أي فرصة لأحد كي يقترب منها أو يسمم أفكارها بأمور تافهة لا تشغلها أصلها، فرزانة عقلها وقوة ذكائها وفهمها جعلا منها تنخرط ضمن سبل العلم والمعرفة.

« لا تولي زميلاتها إلا قليلاً من الاهتمام، ليس تكبرا بل لأنها تبدو دائمًا مشغولة بأمر دراسي، وكانت التي تجلس إلى جانبها بنت أحد الفرنسيين ممن لم يغادروا بعد الاستقلال، ربطتها إليها كتب تعيرها إياها من مكتبتهم، لتساعدها هي في ما يصعب

[1] الرواية: ص 159.

عليها من درس العربية خاصة، فلم يبق ولد ولا بنت من قسمها ولا أحد من الأقسام الأخرى لم تسكنه هيبتها»[1].

جلّ ما يشطن مبروكة إلمامها للمعرفة وتفوقها في المستوى لعلمي، تركيزها محدد في دراستها فهي تحاول دائمًا للحصول على أكبر قدر من بذور المعرفة، لتكون أكثر جدارة في تقديم يدّ المساعدة لمن يرغب في ذلك إذ لا تتردد في تسخير معلوماتها لخدمة واستفادة غيرها منها. «**فقد ذكر سلو، إذ وصله الخبر من بعض الشواذ، أو لدباري غمز إلى أهله أن سيصاب بمكروه إن لم يمكنوه من مبروكة** »[2].

شاع خبر رغبة لدباري من الزواج بمبروكة، وامتلاكها وذلك بتهديد منه لأهله بإلحاق الأذى بنفسه إن لم يحققوا له رغبته بالحصول على مبروكة «**زواجي لم يحن زمنه بعد، أنا أبحث عن طريقي، ولكن إذا كانت تلك مشيئة الله ورغبة أمي، وإرادة سيدتي فإنـــي أسـلـم**»[3].

لدباري يحاول إقناع مبروكة أن مناسبة زواجه بمثابة تنفيذ لرغبة والدته وأنه محترم وراضي بما قسمه له القدر، وتأييد البتول لفكرة زواجه وأنه حل مناسب يتضح في هذا المقطع الروائي تحقق غاية لدباري «**فكان من فرحته أنه سارع إلى تبو ينقل إليه الخبر**

[1] الرواية: ص 159.
[2] الرواية: ص 160.
[3] الرواية: ص 160.

العظيم: ضمني بالخلف واضغط، وها هي وجنتي، مبروكة وقعت في يدي، أتزوجها، زغردن يا نساء، ثم إذا قيل ما يريد أن يسمع أنه يقبل مهر مبروكة وشروطها ودلالها وكبرياءها كل عيوبها» [1].

تمكن لدباري من الوصول إلى مبتغاه إذ جرت الأحداث بسرعة كبيرة، وبعد الزواج مباشرة تظهر محاولات البطش بمبروكة والإيقاع بها «**فإن تبو ظل يضمر النيل من مبروكة منذ أن علم علاقتها بجبريل، فراح لا تجمعه مناسبة بلدباري في بينة، فرآها إلا أرسل عليها من التقدمات ما أخجلها، فلم يحرك ذلك في الزوج، غيرة ولا ردًا، ولما حاول مرة في غيابه أن يلينها ردته بإصرار امرأة تكرهه، فزجرها: الكافر حرثك يسكته غير المختونة الوسخة، يا فاسقة، مثلك يلزمها الرجم**»[2].

لسوء حظ مبروكة أن زوجها لدباري رجل قذر ومعتوه، لا يحمل ذرة أخلاق فكل ما يهمه فيها أن تكون ملكًا له وإذ به يطفئ نار شهوته بها لا غير فلا يعرف معنى الزواج، ولا قيمة الزوجة، فمراده حصل عليه في لحظة وانتهى كل شيء بالنسبة استهزاء أوصلت به أن يترك تبو يراود مبروكة عن نفسها، ويرغمها على الفاحشة أما بصرة عينه دون أن يتحرك أو ينطق بكلمة، فغاليًا هو راضيًا عما يحدث بالرغم أن تبو وضع زوجته في رأسه ويسعى للانتقام منها من جهة ومعاشرتها بالغصب من جهة أخرى فدباري لا يرى في ذلك

[1] الرواية: ص 160.

[2] الرواية: ص 162.

أمر يعنيه أو يهمه فلم يكلف حتى نفسه للاستماع إلى زوجته والنظر في مطالبها وما يشغلها بل رمى بها في أحضان تبو، بكل بساطة إلى أنها سئمت من هذا الوضع زلم ترضى بكل ما يحدث لها فقررت وضع حد لعلاقتهما التافهة.

« فهددته بطلب الطلاق فورًا، فارتبك، لأنه كان يعلم أن ذلك سيقلب حياته جحيمًا، فهو يعرفها عنيدة وقادرة على تنفيذ تهديداتها»[1].

توصلت مبروكة إلى وضع حد لهذه العلاقة الزوجية، البائسة وذلك بقطع الرباط الذي يربطها بزوجها لدباري لتتحرر من سجنه والقهر الذي هي فيه فلا حل يسوّي الأمور أو يعيد المياه لمجراها إلى أن تبتعد نهائيًا عن هذا المنافق الذي لا يرجى منه خيرًا أو راحة.

مرت مبروكة في حياتها بتجارب قاسية، فالحياة لقنتها دروسا عدة وهذا عائد إلى نظرة المجتمع وعاداته وتقاليده، حيث تلقت ضربات قاسية، ومن خلال تجربتها نشم رائحة الصراع النفسي العميق داخل الرواية، فهو حاضر بعذابه الدائم بين الدين والأشواق، الرغبات وفتنه الجسد وما حدث بينها وبين جبريل من صدام الحب، مع الدين وممارسة الخطيئة.

[1] الرواية: ص 162.

أنها ثقافة الإعلاء من قيمة الجنس الذكوري، وتهميش المرأة وسلب حقوقها والاستهانة بمشاعرها وتحطيم رغباتها والوقوف في طريقها، فالواقع المعاش يركز أن يجعل من المرأة سجلاً للهموم والمشقة، فهي تجبر على الزواج ممن لا ترغب به ولا تحبه وإذا اعترضت أو امتنعت فمصيرها أبشع، فكل النماذج المهمشة التي رصدها الروائي داخل روايته عبارة عن نساء مقهورات يعشن صراعا مع الحياة ليثبتن شخصيتهن أو حتى يتمكن من الاستمرارية بكل كرامة وجرأة من غير قيود ولا متاعب.

ثانيا: هامشية الذكر المفعول به

تجسدت في الرواية شخصيات كبليلو، وسلو والمملوك" كنماذج للشواذ جنسيا، الجنس الذكوري المنبوذ، والمرفوض والمحتقر من طرف المجتمع، فهم يمثلون فئة ذكورية مهمشة، عديمة الجدوى والنفع ولا يرجى منها إلا السوء، فهم لا يعتبرون جزءًا من المجتمع سواءً على المستوى الاجتماعي أو السياسي أ والاقتصادي وحتى الثقافي، يخضعون للرفض واللامبالاة والقمع، ويفتقرون إلى أدنى الحقوق كحرمانهم من فرص العمل والحياة الكريمة، بغض النظر عن شخصية سلو المكنى بالمخنث، هذا النوع تحديدًا هو المرفوض بالدرجة الأولى من قبل المجتمع ، فما هو إلا صورة لمخلوق مقزز يشمئز

منه الجميع، سلو لم يرغب بأن يكون على هذا الحال، إنما الظروف أجبرته ودفعت به إلى هذا المستوى الدنيء والمنحط،« **أمي لم تكن تعرف لي والدًا**» [1].

لم سلم من بشاعة ما ألحقه به الرجل الذي كان يضاجع أمه، فقد أقدم على الاعتداء عليه جنسيا بطريقة وحشية لا إنسانية، وهذا ما أحدث فيه خلل وعقدة جعلته ينحرف عن الطريق الصواب، فلولا المصير المخزي الذي واجهه في صغره لعاش مثله مثل غيره من الشباب من عمره الحياة الطبيعية، حتى أصله لم يتمكن من معرفته، فقد ولد لقيطا في المجتمع « **كان يراها تستقبل كثيرًا من الرجال على انفراد فتصرفه كل مرة إلى الخارج ليلعب، وتدخل مع الزائر إلى قوس النوم**[2]».

كان من الصعب عليه أن يستوعب تلك المشاهد وأن يجد لها تفسيرًا، فيما أن أمه تعاشر رجالاً كثرًا، فأين له أن يعرف من هو والده، فهذا ليس بالأمر الهين، فلسوء حظه أنه ينسب إلى والدته المنحرفة، التي لا تتمتع بأي أخلاق ولا مكارم فأين لها أن تعرف مصلحة ولدها، ما دام أنها لم تعط قيمة لنفسها ولم تخجل من تصرفاتها القذرة.

إن حال المخنث يعادل حاله المرأة المهمشة المرفوضة، المذمومة المحتقرة من طرف المجتمع تمامًا، فجسده المفتون المعروض والذي يثير الشهوة ويجذب المنحرفين، والمنحرفات، فسلو المخنث ما هو إلا جسد للنزوات الجنسية، خالي من الروح والإنسانية.

[1] الرواية: ص 112.

[2] الرواية: ص 112.

« وكان سلو ثعلب، غمز لبعضهن غمزات العهر، ودهاهن إلى مراقصته عاريات، فيغيرنه هذه بخنوثته، وشتمته، تلك بأنه يُدْبر أكثر مما يقبل، وأخرى أنثته بما اتصف به لدى الرجال ونادته القوادة، وأطلقت عليه أخريات أسماء مليكة ورميلة وسلومة، فأبدى لهن جميعًا من الضحك ومن الرضا والإعجاب ما آثار القرف عند هذه والاستظراف عند تلك»[1] .

سلو المخنث البارع، الذي يتقن جيدًا كيف يمارس فنون التخنيث، فهو يهوى مخالطة النساء، ومجالستن والاستمتاع معهن، بالرغم أن النسوة لا يتركن كلامًا ولا صفة قبيحة إلا ونسبتها إليه، إذ يستقبل كل تلك المعايرات بوجه بشوش، ولا يعير أي اهتمام لسخرية الجميع منه فهو راضي جدًا بحالته ومعجبً بكل ما يحدث له، يرى في كل أمر سخيف ودنيء وذميم أمرا عاديا جدًا لا يحرك فيه شعرة بدلاً من الانزعاج والتذمر، لما يقال عنه ويوصف به، إذ نجد التباهي والافتخار والرضا بما هو عليه في موضع آخر من الرواية وقال لمن كانت ترقص بجنبه: يعجبني فيك قدك وطرفك وثغرك، ولمن كانت تصفق خلفه: « **خدك وعطفك ونحرك، ولثالثة قامت تتحداه نهدك وردفك وشعرك**[2]» .

وهو يجالس النسوة يبادلهن الشتائم والأحاديث المخلة بالحياء، ويتباهى بكونه مخنثا يمارس الجنس مع الرجال كما مع النساء «**المرأة ما تطفي نار امرأة، قائلا: أنا أُركب**

[1] الرواية: ص 66.

[2] الرواية: ص 66.

وأَركَب، لي صفات المرأة، ولكن واحدة منكن تملك هذا، مشيراً إلى ذكره مجسما تحت عباءته، فسخرت إحداهن صائحة، أن يعري: ورّي للجماعة أمورك يا قويويد يا نصف رجل»[1].

إن سلو المخنث شخصية مزدوجة تتمتع ببنيتين جسديتين، الذكورية والأنثوية، على حدّ سواء لذا قدرته على المعاشرة متفوقة، في كلتا الحالتين فهو الوحيد الذي باستطاعته إشباع النفوس، من شهواتها وغرائزها الجنسية. «**فكانت حسونة لذلك ما حلت بقصر أو دخلت دارًا للغناء إلا وسرت الأخبار عن رجل ومرأة مع رجال والرجل مع النساء يرقص أحسن من البنات ويهز أفضل من النساء، يكحل مثل الخوذات الجيدات، ويتحطط كما البايرات»**[2].

حظي سلو بمصاحبة حسونة له، فهي مغنية مشهورة تذيع وتنشر أخبار سلو، في كل مكان، تسهر دائمًا للحديث عن مواهبه الخارقة، والمميزة في رقصه وكيف يحسن تحريك جسده بأساليب احترافية تبين مدى قدرته على إبرازه مفاتنه التي تبهر العقول وتسحرها. وقد لقي سلو في حسونة المغنية نعم الصحبة التي تهتم به وتدافع عنه ويتضح هذا في المقطع موقف حسونة « **لما كانت حسونة ترعى سلو من مهاناته، فقد أنزلت يومًا غضبها في نهاية حفلة لها على إحدى النساء سألته بشماتة أين تعلم الحرفة،**

[1] الرواية: ص 66.

[2] الرواية: ص 67.

وكانت تقصد شذوذه، فابتسم لها بريبة كاشفًا عن سن مذهبه كانت، هي وخالُ على خدة وذبول في عينه، أوسامًا لوجهه، الممزوج بالأنوثة والذكورة»[1]

ويواصل سلو الدفاع عن نفسه ويرد على النساء اللواتي يتهجمن به باستمرار، فهن يحاولن إذلاله، وبالرغم من الضربات الكثيرة، التي يتلقاها سلو من لسان النساء، المتعجرفات إلا أنه ذكي ويحسن الرّد ويعرف جيدًا كيف يتصرف معهن وطبيعة الكلام الذي سوف يجعل منهن مقهورات، والحيرة تحرق قلوبهن «**فقامت إحداهن وصرخت، باحتقار، لو كنت من اهلي قتلتك، فابتسم زافرًا أسي لم تعهده فيه حسونة وقال في إحباط، وأنا راضي بحالتي؟ لا أنا امرأة ولا أنا رجل**"[2].

سلو يدرك تمامًا حاله وهو راضي به، ولطالما كان متعودا على هذا النوع من ردود أفعال المجتمع فيما يخصه كاحتقار الرجال و النسوة له، ومقتهن إياه وتهجمهن عليه على الدوام جعلت منه إنسانا يعيش في ألم ويأس ومعاناة، مدركًا تمامًا لحقيقته ومكانته المشبوهة في أعين الناس بوجه الخصوص وفي المجتمع بشكل عام، سلو لم ينكر حقيقة أصله وأنه طفل غير شرعي، حتى مكانته في نوع جنسه بل أفصح عن ذلك بكل جرأة أمام النسوة، وهو في حرقة كبيرة و حسرة مما يواجهه حين قطع لهن العزم، بما بات فيهن

[1] الرواية: ص 67.

[2] الرواية: ص 68.

حيرة ولغزا أهلكت به سلو كونه لا يعد رجلاً ولا امرأة، وحسم الأمر، هذا تمامًا المنطق الذي يتعامل به سلو.

شدة قهر النساء من سلو وبغضهن له بات يراودهن حتى في الأحلام، حيث شرعت إحداهن في مجلس بقص الرؤيا والتأكيد على سوء الخاتمة، والمصير الذي ينتظره بعد مماته، وقد أخذن يحاكمن ويحاسبن المخنث، فما تريده النسوة تحديدًا تريده هو أن يعيش حياة مذلة ويرغم على سماع الإهانات والمعايرات والكلام القبيح، وحين وصول أجله يموت كذلك ميتة مذلول وشقي، كونه رجل وامرأة في نفس الوقت، تتجسد فيه حالتين جنسيتين يستخدمها للغرض اللاّأخلاقي والمحرم، ومن عند الله، والممنوع من طرف المجتمع.

يعد المخنث ظاهرة من الظواهر الاجتماعية السلبية التي تكشف عن انحرافات جنسية شائعة في كل المجتمعات، فهي نشاطات وممارسات جنسية غير طبيعية، وسلوكات غير سوية تدفع إلى الدعارة ومختلف الفواحش، ما يؤدي إلى انحراف المجتمع وضياعه، فالمخنث يحوز أدنى الدرجات الاجتماعية ويصنف في أسفل السافلين، فلا خير ولا منفعة تصدر من عديم الأخلاق. وهذا ما فتح المجال الأوسع لهذه الفئة الذكورية في أن تحتل الصدارة في دائرة التهميش الاجتماعي.

خاتمة

خاتمة:

عبر الكاتب في رواية " تلك المحبة " عن قضايا الجنسانية والممارسات المهمشة، وقضايا الاختلافات العقائدية، والعرفية وقضايا الحب واصطدامها مع العادات والتقاليد، كما تجلت بوضوح وبشكل ملفت قضايا الجسد الأنثوي، قيمته بين المركزية والهامشية، بين التقديس والتبجيل وبين والتذليل والتحقير والتدنيس، حيث دارت أحداث الرواية حول الشخصية المحورية وهي المرأة المركز/البتول المقدسة ، المرأة الطاهرة بروحها وجسدها الفاتن، العفيفة التي حظيت بمقام رفيع في مجتمعها الصحرواي، المرأة التي تتمتع بالخصال الحميدة، وتسعى دائمًا للوقوف بجانب الجميع ومساعدتهم، ، المرأة التي احتلت المركز عن جدارة لجمال روحها وجسدها، كما أدرج الروائي صورة للمرأة المركز/ نجمة المدنسة، والتي تمثلت في الشخصية المحورية الثانية ، وقد حرص الكاتب على ذكر مساوئها ومقارنتها بالبتول، فهي صورة معاكسة لها تمامًا ،شخصية سيئة، وخبيثة تعج بالصفات اللاأخلاقية والذميمة رغم جسدها الفاتن.

إن دور الأنثى الفعال – كما أبرزه المتن الروائي– جسدته هاتان الشخصيتان الفاعلتان في مجتمعهما، ،سواءً على المستوى المقدس أو المدنس، كما صورت الرواية نموذجا آخرا للأنثى المهمشة والمفعول بها، جسدتها شخصيات متفاوتة الثقافة والمركز الاجتماعي، كمبروكة المثقفة والمغنية "حسونة" والعرافة و"بنت كلو"، إلى جانب فئة أخرى مهمشة ومفعول بها تمثلها شخصية المخنث "سلو" ، لذلك استخلصنا أن الكاتب قدم المرأة في صور عديدة ومتباينة تعكس الواقع العربي والإسلامي وخاصة واقع المجتمع الصحراوي ، كما توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- تنوعت صور الأنثى في رواية بين المقدسة الطاهرة والمدنسة الذميمة، إلى جانب الفئة المهمشة والمرفوضة من طرف المجتمع.
- لقد عكست الرواية صورة المرأة في مختلف حالاتها: ضعيفة، مقهورة، طاغية، قوية، حاسمة، إضافة إلى الجنس المخنث الذي يعاني الإهانة والاحتقار والذل.
- معظم الشخصيات النسائية تواجه صراعًا مع الأعراف والعقائد والعادات والتقاليد، ويحاولن التغلب على هذه العقبات التي تطرح في طريقهن نحو التحرر والانفلات من مختلف القيود التي تكبلهن وقد كشف الروائي عن الاختلاف الشاسع بين نماذج من النسوة وأهم العوائق التي تعترضهن.
- كشف الروائي عن المهمش والانحرافات الاجتماعية في المجتمع الصحراوي.
- خالف الكاتب نمطية الصورة المقدمة عن المرأة في مجتمعاتنا المحافظة والتقليدية، وهي صورة المرأة /الأنثى المهمشة والمفعول بها، إذ قدم صورا لنساء فاعلات احتلن المركز سواء عن جدارة واستحقاق أو عن خبث ودهاء.

وفي الختام نتمنى أن تكون هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث العلمي الجاد الذي نأمل أن نستمر فيه مستقبلا، ومسعى للحفر في المتون الروائية الجزائرية لنكشف قيمتها الأدبية والمعرفية والجمالية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

القرآن الكريم: برواية ورش للإيمام بن نافع.

1. إبن عربي، الديوان، تح سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، ط1، لبنان 1988.

2. إبن الفارض، الشعر، دار بيروت، ط1، لبنان 1980.

3. أبو نواس، الديوان، تح، بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، ط1، أبوظبي 2010.

4. امرؤ القيس، الديوان، محمد الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط5، بغداد.

5. البحتري، الديوان، تح، يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت 1987.

6.جميل بثينة، الديوان، شرح محمد مهدي ناصر الدين، دار بيروت للنشر، ط1، بيروت 1987.

7. الحبيب السايح، تلك المحبة، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر،2016.

8. حسان بن ثابت، الديوان، تح، حنفي سعيد، دار المعارف، 1983.

9. زهرة ديك، قليل من العيب يكفي، دار بغدادي للنشر، الجزائر، 2009.

10.طرفة بن العبد، الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، لبنان 2002.

11. عباس بن الأحنف، تح، عائكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1954.

12. عمر بن أبي ربيعة، الديوان، تح، محمد الدين عبد الحميد، دار الأندلس، ط2، بيروت.

13. عنتر بن شداد، الديوان، تح، يوسف عيد، دار الجيل، ط1، بيروت 1992.

14. فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الريس للنشر، بيروت 2003.

15. مجنون ليلى، الديوان، يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان 1999.

16. نوال السعداوي، امرأة من الصفر، مؤسسة هنداوي 2017.

ثانيا: المراجع

1. ابن العريف، محاسن المجالس، تح أسين يلاتيوس، المكتبة الشرقية، باريس،1933.

2. أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، القاهرة.

3. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، ط1، القاهرة، 1950.

4. إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، الكويت.

5. إمام عبد الفتاح، إمام أرسطو والمرأة، مؤسسة الأهرام لنشر، ط1، القاهرة 1996.

6. أمل محمد الأسدي، المرأة بوابة الشاعر إلى عالم التصوف، دراسة تحليلية في شعر البيومي، محمد خوص واستلهامه للكتابة الصوفية، مجلد العرب، القاهرة 2019.

7. بكار يوسف، اتجاهات الغزل في القرن الثاني للهجري، دار الأندلس للنشر، ط1، 1981.

8. حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء الإسلام، الوجه والوجه الآخر، دار الثقافة، ط1، 1998.

9. الحكيم توفيق، تحت شمس الفكر، مكتبة الآداب، القاهرة، 1982.

10. الحكيم توفيق، ملامح داخلية، مكتبة الآداب، القاهرة 1982.

11. حمود بن عبد الله السلامة، الأدب العربي، مكتبة الملك فهد الوطنية لنشر، السعودية،2007، 2008.

12. الحوفي أحمد محمد، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم، لبنان 1961.

13. زكي علي السيد أبو غصة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للنشر، ط1، 2003.

14. شكري غالي، ثورة المعتزل، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة 1966.

15. شمس الدين، تطور فن الغزل بين العفاف والمجون في العصر الأموي، المجلد 2، العدد 2، 2015.

16. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة.

17. الصادق النهيوم، الحديث عن المرأة والديانات، دار التالة للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2004.

18. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، لطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر 2009.

19. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، دار الهدى، ط1، عين مليلة، الجزائر، 2004.

20. عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس ودار الكندي للنشر، ط1، بيروت، 1978.

21. عبد الجليل حسني، المرأة عند شعراء الإسلام، دار السلام، ط1، مصر 2016

22. عبد الحميد جيدة، مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، ط1، لبنان،1992.

23. علي الطوابية، وصف المرأة في شعر بشار بن برد، مجلد 43، ملحق 6، 2016.

24. محمد عبد المقصود، المرأة في الأديان عبر العصور، دار النشر مدبولي، ط 1، القاهرة 1983.

25. محمد عبد المنعم خفاجي، نقلا عن أحمد أمين، الأدب الصوفي، مكتبة الغريب، دط، القاهرة مصر.

26. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين والالتزام، الدار العربية للكتاب، دط، 1983.

27. محمد يوسف سواعد، المرأة في الأدبيات العربية المعاصرة، دار الزهوان للنشر، ط1، عمان 2010.

28. مندور محمد، مسرح توفيق الحكيم، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، ط3، القاهرة.

29. نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 2003.

30. هاشمي علي، المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد ،1960.

ثالثا: المجلات

1. إبراهيم ميمون، المرجعية الاجتماعية لمسرح توفيق الحكيم ،2011.

2. الأخضر بن السائح، الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد، 4جانفي2005.

3. أصمت غانم، مكانة المرأة في القرون العصور الوسطى في أوروبا، مجلة همس الحوارج، 2009.

4. جوري سليم، كره النساء فلسفيا من سقراط إلى نيتشيه، مجلة ثقافة وناس 2018.

5. حسين بنبادة، صورة المرأة في الخطاب الصوفي، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، مجلة الحوار المتدني العدد 5101، 2016.

6. حنان محمد حميد أبو سليم، صورة المرأة في ديوان الحماسة لأبي تمام، مجلة الجامعة الإسلامية لدراسات الإنسانية، المجلد 29، العدد 1، عمان، الأردن ،2021.

7. رشيدة كلا ع، حضور المرأة في شعر عنتر ودلالته النفسية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 46، المجلد أ، قسنطينة، 2015.

8. رندة حنينة، محمد قربيز، رمز المرأة أبعاده العرفانية في مقام الحب الإلهي، المرأة في ترجمان الأشواق لإبن عربي، مجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية مجلد 12، العدد 2، 2020.

9. سعاد الحكيم، المرأة في الفضاء الصوفي، مجلة الفيصل، 2019.

10. عمر سعيد محمد سعيد، صورة المرأة في الشعر الإسلامي، مجلة البحوث الإسلامية 2013.

رابعا: الرسائل الجامعية

1. أحمد محمد صباغ الدهني، الصورة الشعرية في شعر الحسين في العصر الأموي، رسالة استكمالا للأعلى درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة جرش 2015.

2. سعدية محمد أبو نديرة، مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، درجة الماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة 1405.

3. سيتي مريم، رواية نقدية عند نقطة الصفر لنوال السعداوي ولعبيدة الخالفي، مقارنة ضوء النقد الأدبي النسوي، أطروحة للحصول على درجة الماجستير، قسم الآداب، كلية العلوم الإنسانية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية والحكومية، جاكرتا 2010،.

4. غدير رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة الماجستير، الدراسات الأدبية المعاصرة، كلية الأدب، جامعة بيرزنت 2006.

5. لخضر لمياء، الأنثوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، مقاربة سيميائية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في مشروع المناهج النقدية المعاصرة، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة سانيا، وهران، 2013، 2014.

6. يحيى معروف، جماليات التغزل بالرموز الأنثوية في الشعر الجاهلي، أطروحة الدكتوراه، في قسم اللغة العربية وآدابها، كليه العلوم الإنسانية، جامعة رازى، كرمانشاه، 2012.

خامسا: الكتب المترجمة

1. برترا راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة للنشر، ط 3، 1978.

2. جوستاف لوبون، الحضارة المصرية القديمة، ترجمة محمد صادق رستم، دار النهضة 1980.

3. مونيك بيتر، المرأة عبر التاريخ، ترجمة، هريت عبودي، دار الطليعة لنشر، بيروت.

4. ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ، دار الجيل للنشر، مجلد 7، بيروت، 1988.

سادسا: الموسوعات

1. ابن نباتة السعدي، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

2. محمد سعيد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات، مكتبة الغزالي.

3. مصطفى زهران، روائع من حياة الصحابيات.

فهرس الموضوعات

بسملة

شكر وتقدير

إهداء

المقدمة **أ-ج**

الفصل الأول: الأنثى بين المركزية والهامشية

المبحث الأول: المرأة من المنظور الديني **02**

1. المرأة في الديانة اليهودية **7-03**

2. المرأة في الديانة المسيحية **09-08**

3. المرأة في الديانة الإسلامية **12-10**

المبحث الثاني: المرأة من المنظور الفلسفي **14-12**

1. المرأة عند أفلاطون. **16-15**

2. المرأة عند أرسطو. **19-16**

3. المرأة عند سقراط. **21-20**

المبحث الثالث: المرأة من المنظور الأدبي **22**

1. المرأة في الشعر العربي القديم **42-22**

2. المرأة في الرواية والمسرح **55-42**

3. المرأة في الأدب الصوفي **61-55**

الفصل الثاني: تمثلات الأنثى في رواية تلك المحبة

المبحث الأول: الأنثى المركز/ البتول المقدسة	**64**
أولا: الجسد المقدس	**75-64**
ثانيا: الروح المقدسة	**85-75**
المبحث الثاني: الأنثى المركز/ نجمة المدنسة	**85**
أولا: الجسد المدنس	**92-85**
ثانيا: الروح المدنسة	**97-92**
المبحث الثالث: الأنثى / الخنثى الهامش	**97**
أولا: هامشية المرأة المفعول بها.	**108-97**
ثانيا: هامشية الذكر المفعول به.	**113-108**
خاتمة	**116-115**
قائمة المصادر والمراجع	**125-118**
فهرس الموضوعات	
ملخص البحث	

ملخص البحث

عبّر الكاتب " الحبيب السايح" في رواية " تلك المحبة " عن قضايا المرأة والممارسات المهمشة، قضايا الاختلافات العقائدية والعرفية ، وقضايا الحب واصطدامها مع العادات والتقاليد، كما تجلت بوضوح وبشكل ملفت قضايا الجسد الأنثوي، قيمته بين المركزية والهامشية، بين التقديس والتبجيل وبين والتذليل والتدنيس، وقد قدم المرأة في صور عديدة ومتباينة تعكس الواقع العربي والإسلامي وخاصة واقع المجتمع الصحراوي، وتمثل الشخصية المحورية الأولى المرأة المركز، البتول المقدسة ، المرأة الطاهرة بروحها وجسدها الفاتن، العفيفة التي حظيت بمقام رفيع في مجتمعها الصحرواي، المرأة التي احتلت المركز عن جدارة لجمال روحها وجسدها، كما أدرج صورة أخرى للمرأة المركز، نجمة المدنسة ، وهي صورة معاكسة تمامًا للصورة الأولى، رغم أنها تحظى بالمكانة والسلطة إلا أنها شخصية سيئة وخبيثة تعج بالصفات اللاأخلاقية والذميمة رغم جسدها الفاتن، كما صورت الرواية نموذجا آخر للأنثى المهمشة والمفعول بها، جسدتها شخصيات متفاوتة الثقافة والمركز الاجتماعي، كمبروكة المثقفة والمغنية "حسونة" والعرافة و"بنت كلو"، إلى جانب فئة أخرى مهمشة ومفعول بها تمثلها شخصية المخنث "سلو ."

كلمات مفتاحية: الرواية–الأنثى–المركز–الهامش–الجسد.

Résumé de la recherche

L'écrivain "Al-Habib Al-Sayeh" a exprimé dans son roman "Cet amour" les problèmes des femmes et les pratiques marginalisées, les problèmes de différences idéologiques et coutumières, et les problèmes d'amour et leur collision avec les coutumes et les traditions. Le romancier a présenté les femmes dans de nombreuses et différentes formes qui reflètent la réalité arabe et islamique, en particulier la réalité de la société du désert. Le premier personnage central du roman représente la femme centrale" Albatoul " la sainte, la femme pure dans son esprit et son corps glamour, et qui jouissait d'une position élevée dans sa société du désert grâce à la beauté de son âme et son corps. Il a également inclus une autre image de la femme centrale, «Nedjma « la profane, C'est une image complètement opposée à la première image, bien qu'elle jouisse d'un statut et d'un pouvoir, mais c'est un personnage mauvais et malveillant plein de qualités immorales et répréhensibles malgré son corps charmant. Le roman dépeint également un autre modèle de la femme marginalisée et objectivée, incarnée par des personnalités de cultures et de statuts sociaux variés, comme "Mabrouka" l'intellectuelle, la chanteuse "Hassouna", en plus d'une autre marginalisée et groupe objectivé représenté par le caractère efféminé "Slow".

Mots-clés : le roman-le féminin-le centre-la marge-le corps.